راجعه وقدم له
الدكتور مصطفى سعيد الخن

رتبه وشرحه وفهرسه
علاء الدين آل رشي

البيان

العقيدة الطحاوية في ثوبها الجديد

الإمام أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي

« ٢٣٩ هـ - ٣٢١ هـ »


بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة تيسير الثقافة الإسلامية

العقائد

« ١ »

البيان

العقيدة الطحاوية في ثوبها الجديد

الإمام أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي

« ٢٣٩ هـ - ٣٢١ هـ »

راجعه وقدم له

الدكتور مصطفى سعيد الخن

رتبه وشرحه وفهرسه

علاء الدين آل رشي

دار المكتبي

الطبعة الأولى

1418 هـ - 1997 م



سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا

ص. ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢

الإهداء

إلى أمتي الإسلامية الحبيبة

قادة

ودعاة

وشعوباً

سائلاً الله الكريم :

« أن يوفق ولاة أمورنا ، وأن يأخذ سبحانه وتعالى بأيديهم إلى ما فيه خير الحياة والمعاد » .

« وأن يبارك بأعمار علماء الإسلام » .

« وأن يذيق الشعوب الإسلامية لذة الرجوع الصادق إليه ، ونشوة الاعتزاز بدينه ، وسعادة الاتحاد تحت ظلال حكمه » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

للأستاذ الدكتور
مصطفى سعيد الخن

الحمد لله الكبير المتعال الذي لا تشبه ذاته الذوات ، ولا صفاته الصفات ، ولا أفعاله الأفعال ، فهو واحد في ذاته وصفاته وأفعاله ، جلَّ عن أن يكون له نِدٌّ أو شريك أو مثال .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد والآل ، صلاة وسلاماً دائمين متواصلين إلى يوم الحشر والمآل ، وبعد :

فليس من العجيب أن يمكث سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، قرابة ثلاثة عشر عاماً في مكة وجلّ اهتمامه فيها هو إصلاح العقيدة ، وكانت آيات القرآن الكريم تنزل عليه ، وجلّها يتحدث عن العقيدة ، ويطلب من الناس الانتقال من العقائد الفاسدة الباطلة إلى العقيدة الصحيحة الواضحة ، ويقيم الأدلة والبراهين على صحة ما يدعوهم إليه ، وفساد ما كانوا عليه .

وما ذاك إلاّ لأن العقيدة هي الباعث والمحرك لسلوك الإنسان سواء أكان ذلك في ميدان الخير أم في ميدان الشر .

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد جاء إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم ليقتل محمداً بن عبد الله لأنه كان يعتقد أنه كاذب فيما يدعيه من النبوة ، وأنه خالف فيما يدعيه ما كان عليه الآباء والأجداد ، وفي القضاء عليه وأد لهذه الدعوة في مهدها ، ولكنه عندما دخل على رسول الله ﷺ وأبصر ما يدعوه إلى نبذ عقيدته الفاسدة ، والإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام ، ونطق بأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، تغيّر سلوكه وموقفه ، وأصبح مدافعاً عن

رسول الله ﷺ بعد أن كان قد جاء ليقتله ويقضي على دعوته ، وقال معلناً عن ذلك : أنحن على الحق أم على الباطل ؟ فيجيبه الرسول عليه الصلاة والسلام : نحن على الحق . فيقول عمر : لماذا نعطي الدنية في ديننا ؟ ويخرج من بيت الأرقم معلناً إسلامه ومدافعاً عن العقيدة الحقة .

إن عمر رضي الله عنه لم يتغير فيه شيء إلا عقيدته ، وبناءً على ذلك تغير سلوكه وموقفه .

ولما للعقيدة الصحيحة من أثر في سلوك الإنسان المنهج الصحيح ، عُني المتقدمون والمتأخرون في إيضاح هذه العقيدة ، وإقامة البراهين على صدقها وصحتها ، وألفوا في ذلك المؤلفات المتنوعة .

وممن عُني بهذا الأمر الإمام الجليل أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي المتوفى سنة ٣٢١ هـ .

فألف كتابه المشهور بالعقيدة الطحاوية ، ذلك الكتاب الذي أصبح عمدةً في بيان عقيدة السلف الصالح .

ولقد عُني العلماء بعده بهذا الكتاب بالقبول ، وتصدى لشرحه وتوضيحه غير واحد من العلماء الأفاضل ، هذا ولقد رأى الأخ الكريم علاء الدين آل رشي أن بعض جوانب هذا الكتاب تحتاج إلى شيء من الإيضاح ، مما يتناسب مع لغة العصر على طريقة كم ترك الأول للآخر .

ولقد رأى فيَّ ما يصلح أن يعرض عليه ما كتبه ، فعرضه عليَّ ، وقرأته له ، وأبديت عليه بعض الملاحظات ، وليس بوسعي إلا أن أقول : جزى الله الأخ الكريم خيراً ، ونفع المسلمين بما كتبه ، وألهمهم أن يتمسكوا بعقيدتهم ويعوها تمام الوعي ، والله الموفق .

د . مصطفى سعيد الخن

دمشق في :

الأربعاء ٢٠ جمادى الأولى ١٤١٧ هجري

٢ تشرين الأول ١٩٩٦ ميلادي .

المقدمة

الحمد لله الذي أكرمنا بالإيمان ، والصلاة والسلام على من جاء بعقيدة هادية للأنام .

أما بعد :

فإن العقيدة[1] الصحيحة هي أُس دين الإسلام ، ولا يقبل عمل من دونها ، لذلك قال العلماء :

الاعتقاد الحق هو الأصل الأصيل ، والركن الركين ، وهو الأول الأول ، والعمل الصالح يقع ثانياً في المرتبة .

ففساد العقيدة يعني فساد العمل وضياعه هباءً منثوراً ، قال سبحانه وتعالى في تبيانه الإلهي :

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف : ١٠٣-١٠٥] .

ومن هنا صحَّ إطلاق العقيدة على الدين ، إذ هي أساس الأمر كله .

والمرء لا يستطيع أن يعيش من دون عقيدة تحكم تصرفاته وتوجهها ، فينطلق من

---

(١) كلمة العقيدة لم ترد في القرآن الكريم بلفظ عقيدة ، ولكن وردت مادة العقيدة « عقد » في عدة مواضع من الكتاب العزيز كقوله سبحانه : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ﴾ [المائدة : ٨٩] ، ويقول د . الخالدي في كتابه في ظلال الإيمان : « ولما في معنى العقد من الجمع والضم والقوة والمتانة والإلزام والتوثيق عبروا عن موضوعات الإيمان بكلمة العقيدة التي لا يمكن أن تتزعزع أو تزول » ا . هـ ص ٦٢ ، وللتوسع : انظر كتاب علم العقيدة بين الأصالة والمعاصرة للدكتور عبد الرحيم السايح .

تصوراتها ، فالعقيدة هي مجموعة من الأركان التي بها يُفسر لغز الحياة ، ويُرسم أبعاد عمر البشر ، أو بمعنى آخر هي التصور الشامل لعلاقة الإنسان بربه وببني جنسه ، وبكونه الذي يعيش فيه ، مع ما ينشئه هذا التصور من تقوًى في الضمير ونظافة في الشعور ، وضخامة في الاهتمامات ، ورفعة في الخلق ، واستقامة في السلوك .

* فعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قالوا : يارسول الله ، أي الإسلام أفضل ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده »[1] .

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي ﷺ : أي الإسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف »[2] .

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام »[3] .

* وعن سهل بن سعد ، عن النبي ﷺ قال : « المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس »[4] ، فأيُّ حساسية مرهفة لإنسان كحساسية المؤمن ؟! إنه يعيش للآخرين .

لقد تتابعت بعثات الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم ، لتذكير الإنسان بالإيمان وحقائقه الوجودية الخالدة :

ـ تُعلمه بخالقه سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

ـ وتُخبره بأن الله معه يحوطه ويرعاه ويمده بعونه في رحلته في هذه المعمورة ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] .

---

(١) رواه البخاري رقم (١١) ومسلم (٤٢) وغيرهما .
(٢) رواه البخاري (١٢) ومسلم (٣٩) وأبو داود (٥١٩٤) والنسائي (٨/ ١٠٧) وابن ماجه (٣٢٥٣) .
(٣) رواه البخاري رقم (٦٠٦٥) ومسلم (٢٥٥٩) .
(٤) رواه أحمد (٥/ ٣٤٠) والطبراني في الكبير (٥٧٤٣) .

ـ وتُوضح له أنه لم يخلق عبثاً ، ولن يترك سدىً ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون : ١١٥] .

هذه بعض ركائز دعوات الرسل ، وكانت مسك الختام دعوته ﷺ ، فما الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ إلا الدين الواحد الخالد ـ جاء في صورته الأخيرة ـ ، وهو امتداد لرسالة الله ، ولعهد الله ، منذ البشرية الأولى يضم جناحيه على ما مضى ، ويأخذ بيد البشرية فيما سيأتي ، يوحِّد بين العهد القديم والعهد الجديد[1] ، ويضيف ما أراده الله من الخير والصلاح للبشرية في مستقبلها الطويل ، ويجمع بذلك بين البشر كلهم إخوة متعارفين يلتقون على عهد الله ودينه لا يتفرقون شيعاً وأحزاباً ، وأقواماً وأجناساً ، ولكن يلتقون عباداً لله مستمسكين جميعاً بعهد الله الذي لا يتبدل منذ فجر الحياة .

والإيمان الذي دعا إليه الإسلام ، هو العهد المعقود بين فطرة الإنسان وبارئه ، أن يعرفه ويعبده وحده لا شريك له ، وهو العهد الذي لا يحتاج إلى بيان ولا يحتاج إلى برهان ، لأن فطرة الإنسان بذاتها تتجه إليه بأشواقها اللّدنية ، ولا يصدها عنه إلا الغواية والانحراف .

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم : ٣٠] .

* * *

لقد طرأ قصور على فهم المسلم لعقيدته ، ومن ثمّ لم يعد هناك إدراك لمقاصد الإيمان الذي من أول مقاصده[2] :

---

(١) المقصود بهما الكتب السماوية السابقة (التوراة والإنجيل) .

(٢) ومن مقاصد الإيمان أيضاً ما يقوله الإمام الزرقاني ـ رحمه الله ـ في كتابه مناهل العرفان ١/ ١٠ :

إن الإسلام لا يريد من المسلم ولا يرضى له أن يكون هيكلاً جامداً ، ولا أن يكون تمثالاً هامداً ، فإن الإسلام عدوُّ الهياكل والجمود خصيم التماثيل =

أن يُعاش به ، وله ، وأن يهب لقلب المسلم نوراً ، ولروحه حساسية ، ولمداركه تفتحاً واتصالاً بالحكمة الإلهية في كل أمر ، وفي كل قول يجيء من عند الله .

يحدثنا الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ عن الإيمان ومقاصده وآثاره فيقول :

« شجرة الإيمان والإسلام ، عروقها : العلم والمعرفة واليقين ، وساقها : الإخلاص ، وفروعها : الأعمال ، وثمرتها : ما توجبه الأعمال الصالحة من الآثار الحميدة والصفات الممدوحة ، والأخلاق الزكية ، والسمت الصالح ، والهدى والدلُّ المرضي »[1] . ما أروع شجرة الإيمان والإسلام وما أطيب ثمارها . .

* * *

ومن تأمَّل المنهج النبوي في الدعوة إلى الله سبحانه ـ لاحظ أن أوّل عمل قام به الرسول الكريم ﷺ هو التركيز على بناء الإيمان ـ فالكفر ملأ حياة قريش ، وكان لابدَّ من تصحيح ذلك والخروج من العَرَض الذي طال ، والرجوع إلى الأصل الذي كاد أن يُزال .

فبدأ ﷺ ـ ببناء العقيدة السليمة بشكل هادىء ، لأنها هي التي تنبثق منها العبادة الصحيحة والسلوك الصحيح ، وهي التي تضمن في الوقت نفسه الثبات على الحق ، وتحمل التضحيات في سبيله ـ ، ولقد طال الزمن وحبيب الله ﷺ ماضٍ في تأصيل العقيدة في نفوس أصحابه ، هناك في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، يغرس الإيمان في عقولهم وقلوبهم ، ويسقيه بذكر الله ، وصدق من قال : « القلة العاملة خيرٌ من الكثرة العاطلة » ، فلم يكن الرسول ﷺ يريد التوسع الأفقي (الكم) قبل استكمال البناء العقائدي والنفسي (الكيف) . وبذلك كان إيمان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كالجبال الرواسي .

= والهمود ، إنما يريد الإسلام أن يكون المسلم روحاً يبعث الروح ، وحياةً يملأ الدنيا حياة ، ورسولاً من رسل السلام والرحمة والنجاة .

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ ١٥٨ .

فكان أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وأبو دجانة ، وطلحة ، وحمزة ، وسمية الإسلام ، وأسماء بنت عميس ، وأم الفضل بنت الحارث ، فإيمانهم باشر العقل والقلب معاً ، وربط الفكر والوجدان ربطاً وثيقاً ، فلم يعد الأمر قضية قناعة فكرية باردة ، أو دفعة عاطفية خاوية من القناعة العقلية ، بل هو الالتحام الكامل بين الجانبين ، حيث يصعب التعريف بينهما .

حقاً لقد استطاع سيدنا محمد ﷺ أن يحول وجه الأرض إلى قطعة من السماء مشحونة بملائكة لا ببشر .

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ مصطفى سعيد الخن ـ حفظه الله ورعاه ـ :

« وكلما كانت المعرفة صحيحة وحقيقية كانت الدافعَ لصاحبها إلى سلوك فاضل وعمل صالح ، وبه تتحقق للإنسان السعادة الدنيوية والأخروية ، والإنسان من بين سائر الحيوان لا يقاد بالعصا القيادة الحقيقية ، ولا يجرُّ إلى عمل ما أو نهاية ما عن طريق حبل يوضع في عنقه أو حزام يوضع في أنفه ، فينقاد ما شاء له الانقياد . بل إن الإنسان ينقاد من أفكاره ومن مبادئه ومن قيمه ، ومن مُثُله التي استقرت في نفسه ، فكلما تحولت في نفسه هذه القيم ، تحول على إثرها بشكل تلقائي كل سلوكه وتصرفاته .

ومن هذا المنطلق رأينا القرآن الكريم ينزل على رسول الله ﷺ في مكة ثلاثة عشر عاماً لا يعنى إلا بإصلاح العقيدة ، ولا يهتم إلا بإبرازها وإظهارها ، وإقامة البراهين الواضحة عليها ، حتى إذا ما اطمأن إلى أن هذه المبادىء قد ثبتت في العقول والقلوب ورسخت في النفوس ، أتى بعد ذلك بالتشريع المتناوِل جَميع جوانب الحياة فلم يلق معارضة ما في أي حكم من الأحكام ، وما إن ينزل الحكم من قبل الله جل جلاله حتى ترى المسلمين بصوت واحد وحماس واحد يقولون : « سمعنا وأطعنا اللهم قد انتهينا »[1] .

إن الإيمان عمل حاسم في تحويل الغرائز والعواطف الإنسانية من وجهة إلى وجهة .

---

(١) مبادىء العقيدة الإسلامية ص ٣ وما بعدها .

الإيمان ميلاد جديد لحياة الإنسان[1] ، هذا ما فعله رسول الله ﷺ بمن حوله ، وبذا ظهر جيل قلّما جاد الزمن بمثله ، إنه يمثل حلقة مفقودة من تاريخ البشرية ، فالصحابة نخبة ممتازة ، ظهر التصور الإسلامي وحقائقه في حياتهم ففعلوا ما يدهش العقول .

إن من أهم واجبات الدعاة اليوم إحياء العقيدة في نفوس المسلمين ، وسقيها بماء ذكر الله سبحانه وتعالى ، وإيضاح فقهها ومقاصدها ليظهر في الوجود تطبيقاتها ، وينمو في حياتنا الإيمان البنَّاء الصاد عن كل قبيح ، فليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ، ولكن هو ما وقر في القلب وصدقه العمل ، كما يقول الإمام الحسن البصري رحمه الله[2] .

* * *

وأسف لا ينقطع لعقيدة كانت أساس توحيد بالأمس تصبح أداة تفريق اليوم ، فالمسلمون لخلافات جُزئيةٍ جزئية ولا تمت لأصول العقيدة إلا من حيث المنهج ، يكفر بعضهم بعضاً ، ويفسِّقون من يخالفهم .

وهناك من الناس من يشغل فكر المسلمين بأمور عقيدية خلافية انتهينا منها .

ما الغاية من إدارة عقارب الساعة إلى الوراء لنزج الأمة الإسلامية في مشاكل القرون الخالية ، والتي شمَّر لها علماء الإسلام عن ساعد الجد ومزّقوا أباطيل من قال بها ؟

لا داعي لإثارة هذه الأمور بين المسلمين ، فالحق أبلج والباطل لجلج .

والمسلمون اليوم عامتهم بحاجة إلى من يبصرهم بحقائق دينهم ومراميه ،

---

(١) هذا ديننا للعلامة المرحوم محمد الغزالي طيب الله ثراه وبلل بالرحمة ذكراه ، ص ٧٥ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان رقم (٩٣) قال العلائي : إسناده جيد ، انظر فيض القدير (٥/٣٥٦) .

لا من يشغلهم بمثل أمورٍ مزقت الأمة والكلمة ، فهل سندرك واجب العصر والساعة ؟

هل من يسوي قلوباً قد تخللها داء التشتت ؟ إنَّ الداء قتّال
داء التفرق داءٌ لا دواء له يمحو الشعوب وتشقى منه أجيال[1]

إننا لو طوينا سجل الأشياء التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، وعدنا إلى العقيدة إلى جمالها وإلى مددها الذي لا ينضب ، لارتقت أحوالنا كثيراً .

« قيل لأحد الصالحين وهو جالس في بيته وحده : ألا تستوحش ؟ فقال : ويستوحش مع الله أحد » ؟! .

وكان أحدهم يخلو في بيته ، ويقول : « من لم تقر عينه بك ، فلا قرّت عينه ، ومن لم يأنس بك فلا أنس » .

وقال بعضهم : « إني أصبت راحة قلبي في مجالسة من لديه حاجتي » .

وقال مسلم بن يسار : « ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عز وجل »[2] .

ما أحوجنا أن تزهر هذه المعاني في ربوع حياتنا ، هي نصوص نطق بها الصالحون من أمتنا ، ولكن الحقيقة أن لذة الإيمان وحلاوته تتكلم .

وأخيراً فإليك نصٌّ يمثل فقه الإيمان ومقاصده وآثاره مجملة :

يقول الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى :

أحكموا أعمالكم على الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام ، قال رسول الله ﷺ : بُني الإسلام على خمسٍ : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن

---

(١) الأبيات الشعرية للمرحوم الأستاذ الشيخ صالح الفرفور من قصيدة بعنوان همّات وأفعال ، ضمن مختارات من شعره .

(٢) الأقوال مستقاة ببعض التصرف من كتاب جامع العلوم والحكم (١/ ١٣٣) للإمام ابن رجب رحمه الله .

محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان[1] .

إياكم ومحدثات الأمور ، قال عليه الصلاة والسلام : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منا فهو ردٌّ »[2] .

عاملوا الله بالتقوى ، وعاملوا الخلق بالصدق وحسن الخلق ، عاملوا أنفسكم بالمخالفة ، وقفوا عند الحدود .

وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا .

إياكم والكذب على الله والخلق ، فإن الدعوى كذب على الله وخلقه .

كل العبودية معرفة العبدية ، الدين عمل بالأوامر واجتناب عن النواهي ، وخضوع وانكسار في الأمرين .

« العمل بالأوامر يقرب إلى الله ، والاجتناب عن النواهي خوف من الله .

اطلبوا الله بمتابعة رسوله ﷺ ، وإياكم وسلوك طريق الله بالنفس والهوى ، فمن سلك الطريق بنفسه ضلّ في أوّل قدم »[3] .

* * *

---

(1) الحديث رواه البخاري برقم (٨) ومسلم (١٦) والنسائي (١٠٧/٨) والترمذي (٢٦٠٩) .

(2) الحديث رواه البخاري برقم (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) وأبو داود (٤٦٠٦) وابن ماجه (١٤) .

(3) البرهان المؤيد ص ٢٠ .

عملي في البيان « الطحاوية »

ـ كلمة لابُدَّ منها :

الطحاوية متنٌ وجيزٌ محكمٌ يجمع بين الدِّقة والسهولة ، وقد اشتمل على اللب واللباب ، والمهم من العقيدة وعلم التوحيد الذي لا ينبغي للمتعلم جهله .

ولم يقيض الله انتشاراً وقَبولاً لكتابٍ يعرض أصولنا الإيمانية مثل هذا الكتاب ، لقد ذاع صيته وانتشر بين أوساط المسلمين انتشاراً واسعاً ـ ولله الحمد ـ .

يقول الإمام السبكي رحمه الله :

« وهذه المذاهب الأربعة ـ ولله الحمد ـ في العقائد واحدة ، إلا من لحق منها بأهل الاعتزال أو التجسيم ، وإلا فجمهورها على الحق يقرون عقيدة أبي جعفر الطحاوي التي تلقاها العلماء سلفاً وخلفاً بالقَبول »[1] .

ولعلَّ من أسباب قَبولها وانتشارها الأمور التالية :

أولاً : المرجعية التي اعتمدها المصنف رحمه الله ، والتي تمثلت بالأصلين الشريفين « القرآن والسنة » .

ثانياً : نَفَسُ كاتبه الصادق الذي يظهر الإخلاص في كل كلمة كتبها ، وأستطيع أن أدلل على صحة ما أقول بما يلاحظه القارىء العزيز من تكرار لبعض العبارات ، وقصده ـ رحمه الله ـ من هذا التكرار التأكيد على الفكرة

---

(١) معيد النعم ومبيد النقم ص ٢٢ـ٢٣ .

الإسلامية التي يعتقدها أهل السنة والجماعة ، وإظهار التمايز الواضح بين ما نعتقده وما اعتقدته بعض الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة .

ثالثاً : أسلوب عرضه ـ رحمه الله ـ للعقيدة ، وذلك بذكره كل ما يتعلق بأصولنا الإيمانية بشكل مبسط سهل عذب المعاني ، وعلى الرغم من صغرها في مبناها ، لكنها كبيرة في معناها ، إذ أنها تمثل بحق أبجديات التصور الإسلامي وحقائقه .

ما المقصود بالطحاوية في ثوبها الجديد ؟

من اطلع على « كتاب البيان » « الطحاوية » لاحظ التشابك بين الأفكار والتداخل ، فنرى المصنف رحمه الله يتكلم عن الله سبحانه ، ثم ينتقل مباشرة للحديث عن المعراج ، ثم عن الحوض والشفاعة ، ويرجع ليتم الحديث عن الله تعالى ، وهكذا .

فقمت :

أولاً : بجمع المثل إلى مثيله ، وتحت عنوان واحد ، حتى يخلص المسلم من فكرة واحدة لينتقل إلى أخرى ، مريداً بذلك تأسيس فكرة متواصلة للقارىء الكريم ، فمثلاً رتبت كلام المصنف فيما يتعلق بالحديث عن الله في جانب واحد وتحت عنوان « ما يجب اعتقاده في الله » .

ثانياً : قسمت الطحاوية إلى أقسام عدة :

القسم الأول :

وفيه تعريف الإيمان ، وذكر أركانه مجملة ومفصلة ، وقد ألحقت بكل ركنٍ مسائل تتعلق به ، وربما أقسِّم بعض الأركان إلى فقرات عدة كما فعلت بالأصل الخامس من أصولنا الإيمانية ، وقد سرت في سرد العقائد الإسلامية وفق حديث رسول الله ﷺ .

القسم الثاني :

أسميته تنبيهات ، لكون كلام المصنف رحمه الله كأنه تنبيه ، وفيه مسألتان :

أولاهما : نواقضُ الإيمان وما يُخرج العبد من الإيمان .

ثانيتهما : زيادة الإيمان ونقصانه .

القسم الثالث :

أسميته تصورات إيمانية ، وهو جملة أمورٍ ينظر المرء المسلم إليها من منظور إيمانه ، فيحكم لها أو عليها ، وقد قسمته إلى ثلاث فقرات .

القسم الرابع :

وفيه يتكلم المصنف ـ رحمه الله ـ عن الإسلام وخصائصه .

وبعد: يا صاحبي ، لن تدرك جمال الطحاوية في ثوبها الجديد إلا إذا نظرت إليها قبل أن تخرج بهذا الشكل الجميل .

أمّا ما يتعلق بالشرح والتعليق :

فلقد كتبته بلغة سهلة ميسورة ، وشيّدته بآي القرآن الكريم ، وحلّيته بالسُّنة المطهرة ، ووشيته بأقوال العلماء من هذه الأمة المباركة .

ـ توسعت في بعض الأماكن التي أحسبها تخدم المسلمين ، كما يظهر في التعليق الواسع على القضاء والقدر .

ـ كنت أتمم في بعض الحواشي بعض الأبحاث العقائدية كـ « بحث الإيمان بالجن » وغيره .

ـ أحياناً كنت أكتفي بالتعليق بكلمات يسيرة ، وحيناً لا أعلق شيئاً كما يتضح ذلك في القسم الثالث ، وذلك كي أدع القارىء يغوص في معانيها ، ويستخرج من دررها .

ـ وضعت العنوانات لكثير من الفقرات .

ـ مزجت في تعليقي وشرحي بين ما كُتب حديثاً وقديماً .

ـ أردت أن يتناسب شرحي مع ثقافة متوسطة ، فلم ألجأ إلا أحياناً ـ وعلى كُرهٍ ـ إلى الخوض في المسائل التي لا تفيد إلا المختص .

فافتح لها باب اعتذارٍ إن فسد معنىً وأوِّل موهماً إذا ورد

* * *

أسأل الله أن يتقبل عملي ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجزي الخير لكل من له حق علي وإشراف وتوجيه ، وعلى رأسهم فضيلة الفقيه الأصولي الشيخ مصطفى الخن ، الذي أكرمني بمراجعته وتدقيقه لما كتبت ، ودبَّج بقلمه الفياض مقدمة ، بعد أن أبدى ملاحظات عملت بها ، فجزاه الله عني كل خير .

لقد رأيت فيه ـ حفظه الله ـ صدق قصد ، ووفرة علم ، وحسن معاملة ، وطيب أخلاق ، ستبقى مثالاً أحتذيه .

وختاماً :

كلي أمل ورجاء أن أكون قد وفقت في إخراج الطحاوية بثوبها الجديد بشكل يخدم المسلمين ، ويعرض أصولنا الإيمانية بطريقة مبسطة تتناسب وفهوم الناشئة المسلمة وأصحاب الثقافات المتوسطة .

وعلى بركة الله ورعايته نسير معاً لنرى حقائق الوجود الخالدة نزداد معها نوراً على نور ، حق وخير وجمال .

« فأفكارنا غايتها الحق .

وسلوكنا هدفه الخير .

وعواطفنا وجهتها الجمال »[١] .

---

(١) الغناء والموسيقى « دراسة في الحكم الشرعي » عمرو عبد الكريم ص ١٠ .

وهذا كله ينبثق من منظومة قيمنا العقيدية[1] .

* * *

(١) متن الطحاوية الذي اعتمدته هو الذي حققه الأستاذان الفاضلان : محمد مطيع الحافظ ، ومحمد رياض المالح ، وأحياناً من أجل إخراج المتن بشكل متكامل جميل ، أمزج معه المتن الذي حققه فضيلة الشيخ شعيب الأرناؤوط والدكتور المشارك له ، ولم أذكر الفوارق بين النسختين ، حتى لا أثقل الحاشية بما لا يعود بكبير فائدة على القارىء .

ـ كررت بعض الكلمات مثل نؤمن بملك الموت. . . كررته في بحث الإيمان بالملائكة والآخرة .

ـ أضفت كلمة نؤمن عند الكلام على الملائكة والإيمان بالكتب وجعلت هذه الكلمة بين [] .

ـ أضفت كلمة نؤمن بالرسل في الإيمان بالرسل ، وفي بحث الإيمان بالبعث حذفت الضمير العائد على الرسول وعوضت عنه بذكر اسمه الشريف ﷺ .



ترجمة المصنف رحمه الله

« الطحاوي كان ثقة ثبتاً فقيهاً
عاقلاً لم يخلف مثله »

أبو سعيد بن يونس

[سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٩] .



« هذا هو الطحاوي »

● اسمه ونسبه ـ رحمه الله ـ :

هو الإمام المجتهد الحافظ المؤرخ النسَّابة : أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي ، نسبة إلى طحا قرية من قرى الصعيد بمصر .

والأزد من أعظم قبائل العرب ، وهي من القبائل القحطانية .

● ميلاده ـ رحمه الله ـ :

ولد سنة (٢٣٩ هـ) فيما رواه ابن يونس ـ تلميذه ـ وتابعه على ذلك كثير ممن ترجم للطحاوي .

قبسات من حياته :

أولاً : هويته الشخصية :

نشأ الطحاوي في أسرة معروفة بالعلم والتقى والصلاح ، كما كانت ذات نفوذ ومنعة وقوة في صعيد مصر .

أبوه : من أهل العلم والبصر بالشعر وروايته[١] .

أمه : معدودة من بين أصحاب الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ الذين يحضرون مجلسه .

---

(١) أعلام المسلمين ، أبو جعفر الطحاوي الإمام المحدث الفقيه ، ص ٧٠ .

يقول عبدُ الله نذير أحمد :

« ذكرها السيوطي في ضمن من كان بمصر من الفقهاء الشافعية ، وقال : أُخْتُ المزني ، كانت تحضر مجلس الشافعي ، ونقل عنها الرافعي في الزكاة ، وذكرها ابن السبكي والأسنوي في الطبقات »[1] .

« وقد كان للنزعة الوراثية الصالحة ، والبيئة الطيبة التي عاش في وسطها ، آثارها في تكوين شخصية الطحاوي العلمية والخلقية ، وتوجيهه التوجيه السليم الذي سار عليه في نشأته وتعلمه وتعليمه ، وفي مراحل حياته العلمية والعملية »[2] .

خاله : الإمام المزني ـ رحمه الله ـ من أفقه صحابة الشافعي وأحدِّهم ذكاءً ، كان الطحاوي يدرس عليه في نشأته[3] .

ثانياً : تحصيله العلمي :

* عاصر الطحاوي الأئمة الحفاظ أصحاب الكتب الستة ومن كان في طبقتهم ، وشارك بعضهم في مروياته[4] .

* قبل أن يبلغ العشرين من عمره المبارك ، كان شافعي المذهب ، ثم انتقل إلى الحنفي[5] .

* حصّل علمه عند أغلب العلماء الذين كانوا في مصر ، وكذلك من لقيه في رحلته إلى دمشق[6] .

---

(١) المصدر السابق ص ٧١ .
(٢) المصدر السابق ص ٧٢ .
(٣) الحاوي في ترجمة الإمام الطحاوي ، للكوثري ، ص ١٥ .
(٤) انظر ص ١٢٤ من ترجمة الطحاوي للدكتور عبد الله نذير أحمد .
(٥) انظر المصدر السابق ص ٧٩ ، والحاوي في ترجمة الطحاوي ص ١٥ ، والبداية والنهاية (١١/١٩٨) .
(٦) انظر ص ٩٥ من ترجمة الطحاوي للدكتور عبد الله أحمد ، و ص ٢٠ من الحاوي للكوثري .
=

* تتلمذ عليه الكثير[١] ، ومدحه كل من ترجمه .

مما جاد به يراع هذا الإمام :

قال الإمام الحافظ الذهبي :

« من نظر في تواليف هذا الإمام علم محله من العلم ، وسعة معارفه »[٢] .

قال الأستاذ الشيخ محمد زاهد الكوثري :

« لو كان مثل هذا العالم في الغرب ، لانتدب أهل الشأن لدراسة كتبه وتحقيقها رجالاً خاصة »[٣] .

كتبه « الموجودة مطبوعة ومخطوطة » :

المطبوع : السنن المأثورة .

شرح معاني الآثار .

الشروط الصغير (مذيلاً بما عثر عليه من الشروط الكبير) .

العقيدة الطحاوية ـ وهو هذا الكتاب ـ (بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة)[٤] .

مختصر الطحاوي الأوسط .

مشكل الآثار .

المخطوط : أحكام القرآن « تفسير آيات الأحكام » .

اختلاف العلماء .

---

(١) انظر ص ١٠٢ من ترجمة الطحاوي للدكتور عبد الله أحمد .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٠) .

(٣) الحاوي ص ٣٣ .

(٤) أصل تسمية كتاب العقيدة الطحاوية هو بيان السنة والجماعة ، أي جعل المصنف بداية الجملة الأولى من المتن علماً عليه ثم مع الزمن نسبت العقيدة إلى صاحبها فاشتهرت بـ (العقيدة الطحاوية).

التسوية بين حدثنا وأخبرنا .

صحيح الآثار .

الجامع الكبير في الشروط .

وفاته :

الموت ، سنة الله في خلقه لا تتخلف ، وإذا مات إنسان كالطحاوي ، أمست حال المرء تقول :

العيـن عبـرى والنفـوس صـوادي مات الحجى وقضى جلال النادي[١]

اتفق جلُّ من ترجم حياة الطحاوي ـ رحمه الله ـ على أن أفول نجم الطحاوي كان سنة (٣٢١ هـ) رحمه الله .

ثناء العلماء عليه :

قال الإمام الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ :

« الطحاوي الفقيه الحنفي صاحب المصنفات المفيدة ، والفوائد الغزيرة ، وهو أحد الثقات الأثبات ، والحفاظ الجهابذة »[٢] .

قال الإمام الحافظ الذهبي ـ رحمه الله ـ :

« الطحاوي الإمام العلامة الحافظ الكبير ، محدث الديار المصرية وفقيهها »[٣] .

---

(١) هذا البيت لأبي الطيب المتنبي .
شرح ألفاظه : عبرى : باكية .
الصوادي : جمع صادية أي ظمأى .
الحجا : العقل .
قضى : مات .

(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٩٨) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧) .

قال الأستاذ الشيخ محمد زاهد الكوثري :

« الطحاوي إمام عظيم ثبت ثقة حجة كالبخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب الصحاح والسنن ، يدل على ذلك اتساع روايته ، ومشاركته فيها أئمة الحديث المشهورين »[1] .

* * *

---

(١) الحاوي في ترجمة الإمام الطحاوي ص ١٤ .

القسم الأول :

« الإيمان وأركانه »

« الحمد لله رب العالمين » .

قال العلامة حجة الإسلام أبو جعفر الورّاق الطحاوي بمصر ـ رحمه الله ـ :

هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني ، رضوان الله عليهم أجمعين ، وما يعتقدون من أصول الدين ، ويدينون به رب العالمين .

نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله :



الإيمان وأركانه

تعريف الإيمان :

* والإيمان هو الإقرار باللسان ، والتصديق بالجنان[1] .

أركان الإيمان : الإيمان

* هو الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى[2] .

---

(١) قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى :

« اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافاً كثيراً : فذهب مالكٌ والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه ، وسائر أهل الحديث ، وأهل المدينة رحمهم الله ، وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين إلى أنه ـ أي الإيمان ـ :

تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان

وذهب كثير من أصحابنا إلى ماذكره الطحاوي : أنه الإقرار باللسان والتصديق بالجنان » ا .هـ عن شرحه للطحاوية ٢/ ٤٥٩ .

ومثل هذا الكلام نقله الإمام أبو المعين النسفي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه تبصرة الأدلة (٢/ ٧٩٨) ، وانظر تعليق فضيلة الشيخ شعيب والأستاذ إبراهيم باجس على جامع العلوم والحكم لابن رجب ١/ ١١٤ ، فهو تعليق نفيس ، جزاهما الله خيراً .

(٢) نصوص في ذكر أركان الإيمان : =

. . . .

من القرآن :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

من السنة :

ـ عن أبي هريرة قال : كان النّبي ﷺ يوماً بارزاً ، فأتاه رجل ، فقال : ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتابه ، وبلقائه ورسله ، وتؤمن بالبعث الآخر . البخاري (٥٠) ، مسلم (٩) ، أبو داود (٤٦٩٨) ، والنسائي (٨/ ١٠١) .

ـ وفي حديث جبريل قوله ﷺ عن الإيمان : « أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » رواه مسلم (٨) ، وابن حبان (١٦٨) ، وأبو داود (٤٦٩٥) ، والترمذي (٢٦١٠) وغيرهم .

واعلم ـ أُخيَّ ـ أن معنى التوحيد يتسامى عن كونه مجرد قضية عقلية تستحضر هذه المعادلة (الأركان) ، وإنما هو إلى جانب القناعة العقلية ، تربية وجدانية تضرب جذورها في القلوب وتعطي ثمارها في السلوك صدق معاملة وطيب أخلاق فالدين المعاملة .



أركان الإيمان مفصلة



الأصل الأول

« الإيمان بالله جلَّ جلاله »

أولاً : « قواعد وتحذيرات : »

* ومن وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر ، فقد كفر ، فمن أبصر هذا اعتبر ، وعن مثل قول الكفار انزجر ، وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر .

* ومن لم يتوقَّ النفي والتشبيه ، ذلَّ ولم يصب التنزيه ، فإن ربنا جلَّ وعلا موصوف بصفات الوحدانية ، منعوت بنعوت الفردانية ، ليس في معناه أحد من البرية[1] ، تعالى الله عن الحدود والغايات[2] والأركان والأعضاء والأدوات[3] لا تحويه الجهات

---

(١) المعنى : أي من لم يتحفظ ويحترز عن نفي ما لا يُدْرَكُ من صفات الذات العلية ، أو شبَّه صفات الله بوهمه بصفة من صفات البرية ، زلَّ عما يبتغيه وضلَّ ، فإن الله جلَّ وعلا لا يشبهه ولا يماثله الخلق شرح الغنيمي للطحاوية بتصرف ص ٧٢ـ٧٣ .

(٢) الحدود والغايات الأبعاد المحدودة والنهايات ، تعالى الله وتنزه عن هذه الصفات .

(٣) الأركان والأعضاء والأدوات كلّها بمعنى واحد وهو الجارحة ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

=

الست[1] كسائر المبتدعات[2] .

ثانياً : ما يجب اعتقاده في الله عزَّ وجلَّ :

* إن الله تعالى واحد لا شريك له ، ولا شيء مثله ، ولا شيء يُعجزه ، ولا إله غيره ، قديم[3] بلا ابتداء ، دائم بلا انتهاء ، لا يفنى

= قال الإمام الغنيمي ـ رحمه الله ـ :

وأما ما ورد من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، من وصفه تعالى بما يوهم ظاهره ذلك كاليد والأصبع والقدم ، وكذا النفس فالواجب إجراؤه على ظاهره ، وتفويض علمه إلى قائله مع تنزيه الباري عن الجارحة ومشابهة الصفات المحدثة . قال الإمام فخر الإسلام البرذوي في أصوله : إثبات اليد والوجه عندنا معلوم بأصله متشابه بوصفه ، ولن يجوز إبطال الأصل بالعجز عن درك الوصف ، وإنما ضلت المعتزلة من هذا الوجه ، أما الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ، فقد أجرى ما ورد من الصفات على ظاهر التنزيل من غير تأويل ، مع التنزيه عما لا يليق بذات الجليل ، وقد توسط ابن دقيق العيد فقال : نقبل التأويل إذا كان المعنى الذي أُوِّل به قريباً مفهوماً من تخاطب العرب ، ونتوقف فيه إذا كان بعيداً ، وجرى على التوسط ابن الهمام بين أن تدعو الحاجة لخلل في فهم العوام ، وأن لا تدعو الحاجة لذلك المرام بحسب اختلاف المقام عن شرحه للطحاوية ص ٧٤ باختصار وحذف وتصرف .

للتوسع انظر : ـ حاشية ابن عابدين ١ / ٥ .

ـ استحالة المعية بالذات للشنقيطي ص ٦٧ وما بعدها .

ـ شرح الطحاوية للشيباني ص ٤٣ وما بعدها .

ـ مبادىء العقيدة الإسلامية د. مصطفى الخن ص ١٣١ .

(١) إذ كان قبل خلقها وهو الآن على ما عليه كان بخلاف غيره ، قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله في الأربعين في أصول الدين : تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان ، بل كان قبل خلق الزمان والمكان ، وهو الآن على ما عليه كان ا . هـ ص ٨ .

(٢) المخلوقات .

(٣) أي لا أول له .

ولا يبيد[1] ، ولا يكون إلا ما يريد ، لا تبلغه الأوهام ، ولا تدركه الأفهام[2] ، ولا تشبهه الأنام ، حي لا يموت ، قيوم[3] لا ينام ، خالق بلا حاجة[4] ، رازق لهم بلا مؤنة[5] ، مميت بلا مخافة[6] ، باعث بلا مشقة[7] ، مازال بصفاته قديماً قبل خلقه ، ولم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفاته ، وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لايزال عليها أبدياً .

* والعرش[8] والكرسي حق[9] ، وهو عزَّ وجلَّ مستغن عن العرش وما دونه ، محيط بكل شيء وبما فوقه[10] ، وقد أعجز عن

---

(١) أي لا يزول ولا ينقطع بقاؤه .

(٢) ورد في المعجم الوسيط مادة الوهم : ما يقع في الذهن من الخاطر ، جمع أوهام ، والفهم : حسن تصور المعنى وجودة استعداد الذهن للاستنباط ، جمع أفهام وفهوم ، ومعنى كلام الطحاوي ـ رحمه الله ـ : كل ما تخيل في الوهم أو تصور في الفهم فالله بخلافه ، إذ لا تبلغه الأوهام ، ولا تدركه الأفهام .

(٣) الحي القيوم : قيل هو اسم الله الأعظم ، والقيوم : صيغة مبالغة تعني القائم بنفسه والمقيم لغيره بالتدبير والحفظ .

انظر أصول الدين للبغدادي ص ٧٢ ، شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٩١) ، تفسير القرطبي (٣/ ٢٧١) آية الكرسي .

(٤) أي خلق الخلق لا لاحتياجه إليهم بل كل ما في الكون فقير إلى الله يستمد منه بقاءه ، محتاج إليه .

(٥) أي رازق للعباد فضلاً منه ، بلا تحمل كلفة تثقله .

(٦) أي مميت للخلق عند انقضاء آجالهم ، بلا رهبة .

(٧) أي باعث لهم عند إرادة بعثهم بلا مشقة تلحقه .

(٨) يجب الإيمان به لوروده بالدليل النقلي ، قال تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٧] .

(٩) يجب الإيمان به لوروده بالدليل النقلي ، قال تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

(١٠) يقول الإمام أبو الحسن الأشعري في الإبانة :

=

الإحاطة خلقه .

* وإن الله تعالى يغضب ويرضى لا كأحد من الورى ، وهو متعالٍ عن الأضداد والأنداد[1] ، لا رادَّ لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، ولا غالب لأمره ، آمنا بذلك كله وأيقنا أن كلاً من عنده[2] .

* ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ، ولا بإحداثه البرية ، استفاد اسم البارىء ، له معنى الربوبية ولا مربوب ، ومعنى الخالقية ولا مخلوق[3] ، وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحياهم ،

= « إن الله استوى على العرش على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده استواءً منزهاً عن المماسة والاستقرار ، والتمكن والحلول ، والانتقال ، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون في قبضته ، وهو فوق العرش ، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى ، فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات عن العرش ، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى ، وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد » ا . هـ ص ٢١ .

(١) الضد : المخالف والمنافي ، / والجمع/ أضداد ، كذا في المعجم الوسيط (٥٣٦/١) .
النِد : المثل والنظير ، / والجمع/ أنداد المعجم الوسيط (٢/ ٩١٠) .
أي تنزه ربنا عن أن يكون له نافٍ لصفاته أو مماثل له .
يقول الشيخ عبد الغني النابلسي ـ رحمه الله ـ :
« لا ذاتــه تشبههـــا الـــذوات ولا حكــت صفــاتــه الصفــات
ومــا لـــه فـــي ملكـــه وزيـــر ولا لـــه مثـــل ولا نظيـــر »
منظومة كفاية الغلام .

(٢) أي آمنا بذلك القضاء كله خيره وشره وحلوه ومره ، وأيقنا أنّ كلاً كائن من عنده بمشيئته وإرادته .

(٣) يعني أن الله تعالى موصوف بأنه الرب قبل أن يوجد مربوب ، وهو موصوف بأنه خالق قبل أن يوجد مخلوق .

استحق هذا الاسم قبل إحيائهم ، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم[1] ، وذلك بأنه على كل شيء قدير ، وكل شيء إليه فقير ، وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلى شيء ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

* خلق الخلق بعلمه ، وقدَّر لهم أقداراً وضرب لهم آجالاً[2] ، ولم يخف عليه شيء من أفعالهم قبل ان خلقهم وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم[3] ، وأمرهم بطاعته ، ونهاهم عن معصيته .

* والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم عليه السلام ، وذريته حق[4] .

---

(١) يعني أنه سبحانه وتعالى موصوف بأنه محيي الموتى قبل إحيائهم ، فكذلك يوصف بأنه خالق قبل خلقهم .

(٢) يعني أن الله سبحانه قدَّر آجال الخلائق ، بحيث إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل : ٦١] .

فالمقتول ميت بأجله ، فعلم الله تعالى وقدَّر وقضى أن هذا يموت بسبب المرض ، وهذا بسبب القتل ، وهذا بسبب الهدم ، وهذا بالحرق ، وهذا بالغرق ، إلى غير ذلك من الأسباب ، والله سبحانه خلق الموت والحياة ، وخلق سبب الحياة والموت .

(٣) إذ العلم صفة كاشفة ، فالله يعلم ما كان ، وما هو كائن ، وما لم يكن أن لو كان كيف يكون .

يقول العلامة محمد الغزالي ـ طيب الله ثراه وبلل بالرحمة ذكراه ـ :

« إنه علم يشرق على كل شيء ، فيجلي بواطنه وخوافيه ، ويكشف بداياته ونهاياته ، ويكتنه ذاته وصفاته . فالشهود والغيب لديه سواء ، والقريب والبعيد ، والقاصي والداني » . ا . هـ عن عقيدة المسلم ص ٨٨ .

(٤) قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] هذا هو الميثاق . =

* وكل شيء يجري بقدرته ومشيئته ، ومشيئته تنفذ ، ولا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم ، فما شاء لهم كان ، وما لم يشأ لم يكن ، يهدي من يشاء ، ويعصم ويعافي من يشاء فضلاً ، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً[1] .

= وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال :

« إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان ـ يعني عرفة ـ فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ، ثم كلمهم قُبُلاً ، قال : ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ، إلى قوله : المبطلون » .

رواه الإمام أحمد (١/ ٢٧٢) ، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٤٧) ، وغيرهما .

(١) هذه مسألة خطيرة ، وهي تشغل فكر كثير من المسلمين ، لنقف عندها لتوضيحها :

يقول فضيلة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي :

« مما لا ريب فيه أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، ويفعل بعباده ما يريد ، ولو لم يكن كذلك لكانت قدرته مشوبة بالعجز ، ولكانت مشيئته غير صافية عن الجبر ، ولا ريب أنه مالك هذا الكون كله ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، ولو لم يكن كذلك لكان في الكون ما هو داخل في سلطان غير سلطانه ، ولكان ثمة حكم آخر من وراء حكمه في الخلائق والعالمين ، وتعالى الله إله العالمين عن ذلك علواً كبيراً ، غير أن هذه الحقيقة لا تُخلُّ بشيء مما هو ثابت مقرر ، من أن الله تعالى جعل الإنسان مخيراً فيما يتعلق به التكليف من تصرفاته وأعماله ، وأن القضاء علمه الأزلي بما سيختاره الإنسان مريداً غير مكره ، وبيان ذلك أن الله تبارك وتعالى جهز جميع المكلفين من عباده بقدر مشترك من الطاقة والعقل والاختيار ، جعله مناط التكليف في حقهم .

فبذلك تتكافأ لديهم فرص المبادرة إلى تطبيق أوامر الله تعالى ، والتزام شريعته ، ويستوون في أنهم جميعاً يتصفون بأصل الأسباب التي تهيئهم للتكليف وتلقي الأوامر ، حتى أنه إذا فقد أحدهم سبباً من هذه الأسباب كالطاقة أو العقل أو الاختيار ، انقطعت عنه تبعة التكاليف واستثني من عموم =

= الجماعة التي يتعلق بها خطاب التكليف من الله عز وجل ، ولكن الناس بعد أن ينطلقوا من هذا القدر المشترك الذي وضعهم في صف واحد فوق صعيد العدالة الإلهية يختلفون في مدى استعمالهم للأجهزة التي ملكهم الله إياها من عقل وإرادة وطاقة ، يسلكون في ذلك طرائق قدداً ، فمنهم من يفتح عقله لإدراك آيات الله عز وجل من حوله ، ويستجمع طاقته لتطبيق أوامره وأحكامه ، ويستعمل إرادته للاتجاه نحو جانب الخير ، وينظر إلى ما يعتلج في نفسه من الشهوات والأهواء التي تحاول أن تسعى به إلى الشر ، فيرمق بطرفه السماء ، ويُقبل على الله في دعاء منكسر يفيض بالعبودية له ، أن يعينه في أمره ، ويوفقه للتمسك بأحكامه ، فمثل هؤلاء تدركهم ألطاف الله تعالى وفضله ، فيزيد إلى طاقتهم طاقة أخرى من توفيقه ، ويزيد إلى عقولهم عقلاً آخر من هدايته ، ويضع في إرادتهم معنى العزيمة والإصرار ، تجد هذا واضحاً في الكثير من آيات الكتاب الكريم ، من مثل قوله عز وجل : ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ ﴾ [مريم : ٧٦] ، وقوله: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [المائدة: ١٦] وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد : ١٧] ، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ ﴾ [يونس : ٩] .

ومنهم من يعمد من أول الطريق فيضع عقله في غطاء عن ذكر الله وآياته ، ويصرف طاقاته من القيام بأمر الله وحكمه ويضع إرادته في أسر شهواته وأهوائه ، ويبدو لكل من يحاول أن يذكره بطرف من هدي الله وحكمه ، أنه مقرر سلفاً أن لا يفهم شيئاً مما يلقى إليه ، وهم الذين وصفهم الله بقوله : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ [فصلت : ٥] ، فهؤلاء هم الذين يحيق بهم مكر الله وعقابه في الدنيا قبل الآخرة ، فيوقعهم في مزيد من الغواية والضلالة العقلية ، ويذيب إرادتهم فيما يصرفه عليهم من سعير الشهوات والأهواء الجانحة ، ويبتليهم بمزيد من الانصراف عن موعظة المذكرين ، وآيات الله في العالمين ، تجد هذه السنة الإلهية واضحة أيضاً في الكثير من آيات الكتاب المبين ، مثل قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ =

* والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات ، ويملك كل شيء ولا يملكه شيء ، ولا يستغنى عن الله طرفة عين ، ومن استغنى فقد كفر ، وكان من أهل الخسران[1] .

* * *

= سَبِيلًا﴾ [الأعراف : ١٤٦] ، وقوله : ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة : ٢٦] ، وقوله : ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر : ٣٤] ، وقوله : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة : ١١٥] ، وقوله : ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة : ١٠] .

وإذاً فإن الله جلَّ جلاله يهدي من يشاء ويُضل من يشاء ، أي أنه لا يعجزه شيء عن أن يقذف أسباب الهداية الجبرية في قلب أضل الكافرين والمارقين ، وأن يقذف أسباب الضلالة في قلب أصلح عباده المؤمنين ، لكنه سبحانه كتب على نفسه تفضلاً منه وإحساناً أن لا يضل من الناس إلا من تعرض لأسبابها ، وصرف عن نفسه وسائل الهداية التي أنعم الله بها عليه ، وأن يقرب أسباب الهداية والتوفيق لكل من عزم على استجابة أمر الله وتكاليفه ، وبسط يد العبودية نحوه يسأله العون والتأييد ، وهذا كله يأتي من وراء القدر المشترك الذي منحه لجميع المكلفين : من أصل الطاقة والعقل والإرادة ، الذي استقرت به حجة الله على الناس في أمر التكليف » . ا .هـ عن كتاب من الفكر والقلب ، ص ٤٣ وما بعدها .

(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر : ١٥] .

إنما العبد ذخره مولاه ، فكيف يستغني العبد عن بارئه ، عن ربه الحنان الرؤوف الكريم ، عمن خلقه وحباه وأمده بالعون والرعاية والحفظ والكلاءة ؟ اللهم ما لنا مولى سواك ، فاكلأنا كلاءة الوليد في المهد ، ودبر أمورنا يا أكرم الأكرمين .

مسائل ملحقة بالأصل الأول وتشتمل على :

« رؤية الله سبحانه .

خلق أفعال العباد .

درر منثورة ، تعليق واسع لي ، وبه يكون ختام هذا الأصل » .

أولاً : رؤية الله سبحانه :

* والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية ، كما نطق به كتاب ربنا حيث قال : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣] ، وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه ، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال ، ومعناه على ما أراد ، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ، فإنه ما سَلِمَ في دينه إلا من سلَّمَ لله عز وجل ولرسوله ﷺ(١) .

---

(١) من أدلة أهل السنة والجماعة في الرؤية ما يلي :

قال تعالى عن الكفار : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] ، وهذا يفيد أن ذلك عقوبة لهم ، ويفيد أن أهل الإيمان يرونه : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣] . قال تعالى عن موسى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] فطلب موسى الرؤية وهو العارف بربه دليل إمكانها ، وتعليق الله عز وجل إياها على ممكن دليل إمكانها .

ولذا أجمع أهل السنة والجماعة على أن رؤية الله ممكنة عقلاً ، وواجبة نقلاً ، واقعة فعلاً للمؤمنين دون الكافرين بلا كيف ولا انحصار ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] ، ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٠] ، ومن كلام أهل السنة والجماعة : أن من ادعى رؤية الله تعالى يقظة فقد كفر « انظر =

وردّ علم ما اشتبه عليه إلى عالمه ، ونقول : الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه ولا نخوض في الله .

* ولا تثبُت قدَمُ الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام ، فمن رام علم ما حظر عليه ، ولم يقنع بالتسليم فهمه ، حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة ، وصحيح الإيمان ، فيتذبذب بين الكفر والإيمان ، والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار موسوساً تائهاً لا مؤمناً مصدقاً ولا جاحداً مكذباً .

* ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم ، أو تأوّلها بفهم ، إذ كان تأويل الرؤية ـ وتأويل كل معنًى يضاف إلى الربوبية ـ بترك التأويل ولزوم التسليم ، وعليه دين المرسلين وشرائع النبيين .

= شرح الجوهرة لتتان وزميله ص ٢٦٥ » ، واختلفوا في ثبوت الرؤية في الدنيا لرسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج ، فالجمهور على ثبوتها ، والمسألة خلافية منذ عصر الصحابة والراجح ثبوت الرؤية له ﷺ بقلبه .

نصوص في إثبات الرؤية :

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر ، وقال : إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر ، لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قرأ : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [قٓ : ٣٩] ، رواه البخاري (٤٨٥١) ، ومسلم (٦٣٣) .

عن صهيب الرومي رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، يقول تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى » رواه مسلم (١٨١) ، والترمذي (٢٥٥٢) ، وابن ماجه (١٨٧) ، وأحمد (٤/ ٣٣٣) .

اللهم أكرمنا ببهجة النظر إلى وجهك الكريم .

ثانياً : خلق أفعال العباد .

* وأفعال العباد هي بخلق الله تعالى ، وكسب من العباد .

* ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون ، ولا يطيقون إلا ما كلفهم ، وهو تفسير « لا حول ولا قوة إلا بالله » . نقول : لا حيلة لأحد ، ولا حركة لأحد ، ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله ، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة والثبات عليها إلا بتوفيق الله تعالى .

* والاستطاعة[1] التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا

---

(١) يقول شارح الطحاوية الشيباني رحمه الله تعالى :

قال أهل الحق : الاستطاعة على نوعين : النوع الأول : استطاعة سابقة على الفعل وهي سلامة الآلات والتمكين والوسع . قال الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران : ٩٧] .

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ [النساء : ٩٢] .

لأن استطاعة الفعل لا يمتد إلى شهرين .

النوع الثاني : استطاعة يوجد الفعل بوجودها ، وينعدم بعدمها ، وهي مقارنة للفعل يوجد معه ولا يتقدمه ولا يتأخر عنه ، وحجة أهل الحق : أن الله تعالى قَرَنَ الاستطاعة بالفعل بقوله : ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ [الأعراف : ١٩٢] ، ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف : ١٠١] ، ﴿لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف : ٦٧] ، فدلت هذه الآيات وأمثالها :

أن الاستطاعة للفعل ، ولا يوجد الفعل إلا بالاستطاعة ، فاقتضى أن يكون مع الفعل لأنها لو تقدمت الفعل لعري عن الاستطاعة ، لأنها عرض لا يبقى إلى وقت وجود الفعل ، فيحصل بلا استطاعة فيخالف النصوص ، ولأن الاستطاعة قوة يخلقها الله تعالى في أعضاء العبد ، يحدث وقتاً بعد وقت ، وهي عرض لا يبقى زمانين وذلك بتوفيق الله وتيسيره في إقامة الطاعات ، وبخذلانه في إقامة المعاصي . ا . هـ ، ص ٧٩ـ٨٠ باختصار .

يجوز أن يوصف المخلوق بها تكون مع الفعل ، وأما الاستطاعة من الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل ، وبها يتعلق الخطاب ، وهو كما قال الله تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

درر منثورة

خاتمة الأصل الأول :

أولاً : تتكون العقيدة في الله في الإسلام من هذه العناصر :

١ـ الاعتقاد بوجوده الواجب لذاته ـ غير المستمد من سواه ـ ووصفه جلّ وعلا بصفات الكمال نتيجة للنظر في هذا الكون .

٢ـ نفي صفات المشابهة والنقص عن الخالق سبحانه ، فالتجسيم منفي عنه ، لأن المادة تتحول والخالق بعيد عن وصف التحول ، والتعدد منفي عنه لأنه تركيب ، والإله لابد أن يكون واحداً ، والأبوة والبنوة بعيدان عن صفاته ؛ لأنهما تجزئة وانفصال ، والخالق لا يتجزأ ، وهكذا .

٣ـ عدم التعرض لله سبحانه في حقيقة وماهية الذات والصفات من حيث هما مع الاحتراس الدقيق بتقرير المخالفة التامة بين ماهية ذات الإله وصفاته ، وماهية المخلوق وصفاتهم ، وما ورد من صفات لله تُوهم المشابهة نحملها على القاعدة : « إثبات من غير تمثيل ، وتنزيه من غير تعطيل » .

٤ـ رسم الطريق إلى معرفة صفات الخالق وإدراك كمالات الألوهية ومميزاتها وآثارها ، والوصول إلى ذلك عن طريق النظر في الكون نظراً صحيحاً ، وتحرير العقول والأفكار من الموروثات والأهواء

والأغراض ، حتى نصل إلى الحكم الصائب .

٥ـ تقوية الصلة بين الوجدان الإنساني والخالق جلّ وعلا ، حتى يصل الإنسان بذلك إلى نوع من المعرفة الروحية ، هو أعذب وأصدق أنواع المعرفة جميعاً ، وذلك أن الوجدان الإنساني أقدر على كشف المستورات غير المادية من الفكر المحدود بقيود المادة ونتائج الأقيسة الحسية .

٦ـ مطالبة المؤمنين بأن تظهر بأقوالهم وأفعالهم آثار هذه العناصر العقيدية (الإيمان بالله وملائكته . . .) ، فالمؤمن متى اعتقد أن خالقه قادر ، كانت النتيجة العملية لهذه العقيدة أن يتوكل عليه ، وأن يلجأ إليه ، وإذا اعتقد أنه عالم راقبه ، واستولت عليه خشيته ، وإذا اعتقد أنه واحد لم يدعُ سواه ولم يسأل غيره ، ولم يصرف وجهه إلا إليه ، وهكذا .

ثانياً : الأدلة على صدق العقيدة في الله :

☆ **أول الأدلة : دليل الفطرة :** يُعرِّف الدكتور أحمد فرحات الفطرة بأنها : توحيد جبلي لله ومعرفة أولية مجملة بالخير والشر والفجور والتقوى(١) .

لقد فُطر الإنسان على التوحيد غريزة وجبلة ، وطُلِبَ إليه أن يؤكد هذا التوحيد عن طريق استخدام العقل والحواس ، وملاحظة آيات الله الدالة عليه ، الشاهدة بوحدانية ، وأن لا يغفل عنها ويمر بها معرضاً عنها .

ولقد ذكَّرنا الله بميثاق الفطرة حتى لا نغفل عن ذلك ، حين قال :

---

(١) فطرة الله ، ص ٣٧ .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ .

[الأعراف : ١٧٢]

ومن هنا يكاد لا يخلو إنسان على وجه المعمورة من هذه الفطرة ، وتراه يتخذ مراسيم العبودية لله كائنة ما كانت هذه المراسيم ، وهذا يدل على أن العقيدة في الله الخالق ، فطرة في نفوس البشر .

يقول المؤرخ الإغريقي القديم ـ بلوتارك ـ[1] : « لقد وُجِدَت في التاريخ مدنٌ بلا حصون ، ومدنٌ بلا مدارس ، ومدنٌ بلا قصور ، ولكن لم توجد قط مدنٌ بلا معابد » .

☆ **ثاني الأدلة** : الكون وفي صفحاته دلائل وبصائر : انظر إلى هذا الكون تجد التعاون والتناسق والتناغم بين أجزائه ، بحيث يؤدي كل جزء منها مهمته بانتظام دون أن يصطدم بالأجزاء الأخرى أو يعوق سيرها ، أو يجور عليها ، بل العكس ، يمدها بما تحتاج إليه مما عنده ويأخذ منها ما يفتقد هو إليه مما عندها ، كما يحدث في المبادلة القائمة بين المملكة الحيوانية والمملكة النباتية .

فمن المعلوم أن كل الكائنات الحيوانية تمتص الأكسجين وتلفظ ثاني أكسيد الكربون ، أما النبات فهو على العكس ، يستعمل ثاني أكسيد الكربون ويلفظ الأكسجين ، فهناك تبادل مشترك بين الإنسان والحيوان من جانب ، وبين جميع النباتات من جانب آخر ، فما نطرده نحن تنتفع به هي ، وما تطلقه هي نتنسمه نحن ، وبدونه تنتهي حياتنا بعد خمس دقائق ، فلو لم تكن هذه المقايضة قائمة ، ما

---

(١) وجود الله ، د . القرضاوي ، ص ٢٤ .

استمرت الحياة إلى اليوم ، تُرى من الذي قدّر هذا التناسق ، وأقام هذا التوازن ، ووضع هذا النظام المحكم ؟!! .

ومن الذي نظم العلاقة بين الشمس والأرض ، وبين الأرض والقمر ، وبين القمر والشمس ، وبين كواكب المجموعة الشمسية بعضها ببعض ، وبين المجموعة الشمسية وملايين المجموعات النجمية الأخرى في مجرتنا الكبرى ، وبين مجرتنا وملايين المجرات الأخرى بحيث تتعاون ولا تتصادم ؟ إنه الله ربنا .

﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن : ٥-٧] .

قانون البداهة يفرض علينا أن نقول : « الصنعة تدل على الصانع ، وهذا الكون يدل على وجود المكون له والمنظم والمرتب والمنسق ، وما أجمل قول الأعرابي : الأثر يدل على المسير ، والبعر يدل على البعير ، سماءٌ ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، ألا تدل على اللطيف الخبير » .

تأمل سطور الكائنات فإنها من الملأ الأعلى إليك رسائل
وقد خُطَّ فيها لو تأملت سطرها ألا كل شيء ماخلا الله باطل

ومن هنا كان علماء الكون أعرف الناس بالله ، وأوثقهم اعتقاداً به ، وكانت العلوم الكونية الطبيعية من الوسائل القريبة إلى معرفة الله ، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾

[فاطر : ٢٧-٢٨] .

ثالثاً : من شهادات علماء الكون[1] :

غاليلو مخترع التلسكوب : « لشدة ما أنا مأخوذ بروعة ما أرى ، ومدين لله بما وهبني لكي أكشف عن هذا الإبداع العظيم الذي لم يظهر لكل الأجيال السابقة » .

ماكس بلانك العالم الطبيعي الذي فتح الطريق لأسرار الذرة : « إن الدين والعلوم الطبيعية يتقاتلان معاً في معركة مشتركة ضد الجحود والشك والخرافة ، ولقد كانت الصيحة الجامعة في هذه الحرب وسوف تكون دائماً إلى الله » .

شاتلون رائد الفضاء الروسي : « أنا شخصياً أومن بالله ، وبعقل الإنسان أيضاً » .

رابعاً : دراسة العقيدة :

يقول د . يوسف القرضاوي :

« دراسة العقيدة مبنية على أساسين :

١ـ القرآن الكريم ، لا على أنه أخبار نقلية ، بل بما يتضمنه وما ينبه عليه من براهين ، فقد أنزله الله هدًى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان ، ويؤخذ من السنن الصحاح ما يبين القرآن ، وما يسير في ضوئه .

٢ـ العلوم الكونية الحديثة ، بما تكشف للناس من أدلة تعين الناس ـ وخصوصاً المتشككين ـ في وجود الله تعالى وفي وحدانيته ،

---

(١) هذه الأقوال منقولة عن كتاب الإيمان بالله في ضوء العلم والعقل للأستاذ محمد رشدي عبيد .

وإبداعه في كونه ، وإحسانه لخلقه ، وتقرّب منهم الحقائق الدينية من النبوة وأمور الآخرة »[1] . وأزيد ثالثاً فأقول :

٣ـ الكتب التي تعتني بهذين الأمرين والتي تستوعب الشبه المثارة في أيّامنا وتحسن الردَّ عليها .

من أهم الكتب التي عنيت بهذه الأمور :

أ ـ مبادىء العقيدة الإسلامية ، د . مصطفى سعيد الخن ـ حفظه الله ـ .

ب ـ عقيدة المسلم ، المرحوم العلامة الداعية الكبير محمد الغزالي .

جـ ـ الإيمان والحياة ، د . يوسف القرضاوي ـ حفظه الله ـ .

د ـ مدخل إلى نظرية الأمن والإيمان ، المهندس عبد الوهاب محمود المصري ـ حفظه الله ـ .

مسك الختام فائدة : يقول الإمام ـ ابن جُزَيْ ـ رحمه الله[2] :

« . . . اعلم أن أسماء الله وصفاته تنقسم على الجملة إلى ثلاثة أقسام منها ما يرجع إلى الذات ، وإلى صفات الذات ، وإلى صفات الفعل ، وتنقسم بالنظر إلى معانيها إلى عشرة أقسام :

الأول : اسم يدل على الذات وهو قولنا (الله) وقد قيل : إنه اسم الله الأعظم .

الثاني : أسماء تدل على الوحدانية كاسمه الواحد ، والصمد ، والوتر .

الثالث : أسماء تدل على الحياة كالحي والأوَّل والآخر .

الرابع : أسماء تدل على اختراع المخلوقات وذلك أخص صفات

---

(١) في الطريق إلى الله ـ الحياة الربانية والعلم ـ ١/ ١١١ .

(٢) القوانين الفقهية ، ص ١٥ .

الربوبية كالخالق والباري والفاطر .

الخامس : أسماء تدل على القدرة كالقدير والمنتقم والقهار .

السادس : أسماء تدل على الإرادة كالمريد والفعّال لما يريد والقابض والباسط .

السابع : أسماء تدل على الإدراك كالعليم والسميع والبصير .

الثامن : أسماء تدل على العظمة والجلال كالعظيم والكبير والعلي .

التاسع : أسماء تدل على الملك والتملك كالملك والمالك والغني .

العاشر : أسماء تدل على الرحمة كالرحمن والرحيم والغفار والتواب والوهاب » . فاعرفها .

❊ ❊ ❊

الأصل الثاني

« الإيمان بالملائكة وما يستتبعه »

* نؤمن بالملائكة[1] .

---

(١) الملائكة نوع من مخلوقات الله عز وجل ، لا يصلح إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم ، وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ ، من غير زيادة ولا نقصان ولا تحريف ، ووجود الملائكة ثابت بالدليل القطعي الذي لا يمكن أن يلحقه شك ، ومن هنا كان إنكار وجودهم كفراً بإجماع المسلمين ، بل بنص القرآن العظيم ، فقد قال الله عز وجل :

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾

[النساء : ١٣٦]

صفاتهم :

- العبودية لله جلّ جلاله :

فليسوا أولاداً ولا أنداداً :

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ .

[النساء : ١٧٢]

- التقيد بأوامر الله :

فلا يعصون الله في أمر ولا ينحرفون إلى ارتكاب منهي :

﴿ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ .

[التحريم : ٦]

=

من وظائف الملائكة :

* [ونؤمن بالروح الأمين](1) ، ونؤمن بالكرام الكاتبين ، وأن الله قد جعلهم حافظين(2) ، ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين(3) .

= - **لا يتصفون بذكورة ولا أنوثة :**

قال تعالى منددا على الكافرين : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف : ١٩] .

- **لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع :**

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر : ١] .

- **مع كونهم مخلوقين من نور غير مرئي للعين ، فإن الله عز وجل قد منحهم القدرة على التشكل والظهور بمظهر الأجسام الكثيفة المختلفة :**

جاء في قصة السيدة العذراء مريم قوله سبحانه :

﴿ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ .

[مريم : ١٧]

(1) هو جبريل ، ووظيفته إبلاغ كلام الله وحكمه إلى عباده المرسلين .

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء : ١٩٣-١٩٤] .

(2) رقيب وعتيد وظيفتهما مراقبة أعمال المكلفين وتصرفاتهم ، وإحصاؤها في كتاب مبين ، أحدهما يكون عن يمين الإنسان وهو يحصي ما يحققه من حسنات ، والثاني عن شماله ، وهو يحصي ما اكتسبه من آثام .

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

[ق : ١٧-١٨]

(3) عزرائيل ، ووظيفته قبض الأرواح .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام : ٦١] .

﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ .

[السجدة : ١١]

الجمهور : على أن ملك الموت واحد ، ولكن الله جل جلاله عززه بطائفة أخرى من الملائكة شأنها معه كشأن الجنود مع القائد . =

= ومن وظائفهم أيضاً :

حمل العرش : وقد نصّ القرآن أن عدد الذين يحملون العرش يوم القيامة ثمانية من الملائكة :

﴿ وَالْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَاۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٦] .

الخزنة : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر : ٧٣] .

الزبانية : القائمين بشؤون النار وأهلها .

﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةًۙ ﴾ [المدثر : ٣١] .

المعقبة والحفظة : ووظيفتهم المحافظة على الإنسان خلال مراحل حياته في مختلف شؤونه كلها :

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام : ٦١] .

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [الرعد : ١١] .

وبالإضافة لما ذكر فإن لهم وظائف كثيرة ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ ﴾ [المدثر : ٣١]

من رؤساء الملائكة :

جبريل وميكال : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٩٨] .

مالك ـ خازن النار ـ ﴿ وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ ﴾ [الزخرف : ٧٧] .

إسرافيل : موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم .

ويستتبع الكلام عن الملائكة الحديث عن الجن والشياطين .

أولاً : الجن : أرواح قائمة في أجسام لطيفة نارية قادرة على التشكل بصور مختلفة ، يأكلون ويشربون ، وفيهم الذكر والأنثى ، ويتناكحون ويتناسلون ويموتون كما هو حال الإنس ، والجن قادرون على أعمال عظيمة لا يستطيعها الإنس ، والجن لا يعلمون الغيب ، وفي قصة سليمان ووفاته عليه السلام دليل على ذلك .

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ : ١٤] .

ثانياً : الإيمان بوجودهم من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة التي يكفر =

. . . .

= منكرها لأنه تكذيب للخبر المتواتر اليقيني الوارد إلينا عن الله جل جلاله ، وهو يناقض الإيمان بالله جلَّ جلاله ، كما يناقض الإيمان بكتابه المعجز .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] وهذا دليل تكليفهم أيضاً .

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الأحقاف : ٢٩] .

ثالثاً : أصل الجان : المارج : اللهب الصافي الذي لا دخان فيه .

﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن : ١٥] .

رابعاً : عالم الجن فيه الكافر والمؤمن والفاسق ، قال تعالى على لسان الجن :

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾ [الجن : ١١] ، طرائق قدداً : أدياناً مختلفة .

خامساً : لا خلاف في أن بعثة سيدنا محمد ﷺ للإنس والجن ، ولكن هل كان قبل محمد ﷺ ترسل رسل إلى الجن ؟

قولان للعلماء في ذلك :

فابن عباس وآخرون يرون أنه لم يبعث رسولاً من الجن وهو قول الجمهور .

وقال الضحاك وابن حزم رحمهما الله وآخرون : إنه قد ابتعث الله من الجن أنبياء ورسلاً ، ويستشهدون على ذلك بقوله : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ﴾

[الأنعام : ١٣٠]

مسألة : هل الكافرون من الجن هم الشياطين أو الشياطين جنس آخر ؟

إذ الجنُّ مخلوقات هوائية ، والشياطين مخلوقات نارية ، قولان للعلماء ، والراجح أن الشياطين هم كفرة الجن .

فائدة : الوقاية من مس الجن والشياطين تكون بالذكر والاستعاذة وتلاوة القرآن ، والصلاة ، ومن أصيب بسبب من الجن ، فبالإمكان معالجته بتلاوة المعوذات وآية الكرسي ، وقراءة سورة البقرة ، ويصح التداوي بكل شيء تجيزه الفتوى .

الأصل الثالث

« الإيمان بالكتب المنزلة »

* [نؤمن با] لكتب المنزلة على المرسلين ، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين[1] .

* وأن القرآن كلام الله تعالى بدا بلا كيفية قولاً ، وأنزله على نبيه وحياً ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً ، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية[2] ، فمن سمعه فزعم أنه كلام

---

(١) الإيمان بالكتب معناه التصديق الجازم بأن جميعها منزل من عند الله ، وأن الله تكلم بها حقيقة .

والكتب التي سماها الحق سبحانه وتعالى في القرآن هي :

القرآن ، التوراة ، الإنجيل ، الزبور ، صحف إبراهيم وموسى .

﴿ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران : ٢-٣] .

﴿ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ [النساء : ١٦٣] .

﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٦] .

(٢) أي ليس كلام الله من جنس مقول الخلق « الحروف والأصوات » التي هي مخلوقة .

قال في بدء الأمالي :

وما القرآن مخلوقاً تعالى كلام الرب عن جنس المقال=

البشر ، فقد كفر ، وقد ذمه الله تعالى وعابه وأوعده عذابه حيث قال : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر : ٢٦] ، فلما أوعد الله بسقر لمن قال : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ [المدثر : ٢٥] ، علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر .

* ولا نجادل في القرآن ونشهد أنه كلام رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، فعلمه سيد المرسلين محمداً ﷺ وآله وصحبه أجمعين[١] ، وكلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين .

* ولا نقول بخلق القرآن ، ولا نخالف جماعة المسلمين[٢] .

* * *

= ولن أزيد الكلام في المسألة إذا هي انقضت ولله الحمد . انظر إرشاد الفحول للشوكاني ـ رحمه الله ـ مبحث المحكوم عليه .

(١) الإيمان بالقرآن يقتضي الإيمان بعموم الخطاب فيه للمكلفين من الإنس والجن جميعاً ، ويقتضي الإيمان بخلود هذا الخطاب ، وأن المكلفين مخاطبون به حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وأنه شامل كامل ، وأنه الكتاب الوحيد الذي لم يداخله تغيير ولا تبديل ، وأنه حاكم وناسخ لكل كتاب سابق .

(٢) إذ القول بأن كلام الله مخلوق فيه شق لعصا جماعة المسلمين .

الأصل الرابع

« الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام »

* [نؤمن بالرسل] ، ولا نفرق بين أحد من رسله ، ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به(١) .

---

(١) العقل والنقل متضافران على أن الرسل صلى الله وسلم عليهم أجمعين لابدَّ أن يتصفوا بأربع صفات رئيسية :

الصدق ، الأمانة ، التبليغ ، الفطانة .

الصدق : مطابقة الخبر للواقع ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الأحزاب : ٢٢] .

الأمانة : العصمة ومعناها حفظ ظواهرهم وبواطنهم عن التلبس بمعصية ، فهي في اصطلاح العلماء القيام بالتكليف وهو الأمانة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب : ٧٢]

الفطانة : القدرة على إقامة الحجة وما يستتبع ذلك من وفور عقل وقوة فهم وسرعة بديهة ؛ لأن مهمتهم إقامة الحجة بدين الله على المكلفين من خلق الله ، وفي قصة إبراهيم عليه السلام هدى وبصيرة ، قال تعالى :

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام : ٨٣] .

التبليغ : إيصال رسالات الله إلى من أمروا بتبليغهم إياها ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة : ٦٧] .

هذا ويستحيل في حقهم ضد هذه الصفات الأربع ، ويجوز في جانبهم الكريم سائر الأعراض البشرية كالأكل والمشي في الأسواق ، والجماع =

* ونقول : إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً ، وكلّم موسى تكليماً ، إيماناً وتصديقاً وتسليماً .

وإن محمداً ﷺ عبده المصطفى ، ونبيه المجتبى ، ورسوله المرتضى ، خاتم الأنبياء[1] ، وإمام الأتقياء ، وسيد المرسلين ،

= والمرض ، إلا ما ينفر الطباع .

وقد أيدهم الله بالمعجزات ، والمعجزة كما يعرفها شارح الجوهرة : أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة والتحدي . دعوى الرسالة ا .هـ (إتحاف المريد ، ص ١٨٩) .

وأهم المعجزات التي أُيِّد بها الأنبياء ، معجزة نبينا ﷺ معجزة القرآن الكريم ، هذا السفر الأكرم ، الذي فتح الله بآية منه باب التحدي للبشرية على مصراعيه .

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة : ٢٣] .

فأيُّ تحدٍّ كهذا التحدي ، إنه الكتاب المعجز الذي ينطق بصدق نبوة محمد ﷺ على مدى الدهور والأزمان .

جاء النبيون بالآيات فانصرمت وجئتنا بكتاب غير منصرم

آياته كلما طال المدى جددٌ يزينهن جمال العتق والقدم

وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز أسماء خمسة وعشرين نبياً مرسلاً ، فهؤلاء يجب الاعتقاد بنبوتهم تفصيلاً ومعنى ذلك أنه لا يجوز للمسلم إذا ما سئل عن واحد من هؤلاء أن يجهله أو يجهل كونه نبياً وهم : آدم ، نوح ، صالح ، إدريس ، إبراهيم ، لوط ، إسماعيل ، إسحاق ، يعقوب ، يوسف ، شعيب ، أيوب ، ذو الكفل ، موسى ، هارون ، سليمان ، داود ، إلياس ، اليسع ، يونس ، زكريا ، يحيى ، عيسى ، محمد صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين .

(١) فلا نبي بعده ، وأما عن نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة ، فيحدثنا السعد التفتازاني عن ذلك قائلاً :

« لكنه ـ أي عيسى ـ عليه السلام ، يتابع محمداً ﷺ ، لأن شريعته قد نسخت ، فلا يكون إليه وحي ونصب أحكام ، بل يكون خليفة رسول الله ﷺ » ا .هـ ، شرح النسفية ، ص ٢١٤ .

وحبيب رب العالمين ، وكل دعوة نبوة بعد نبوته ، فغي وهوًى ، وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى المبعوث بالحق والهدى .

* والمعراج [للنَّبي ﷺ] حقٌّ ، وقد أسري بالنَّبي ﷺ ، وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء ، ثم إلى حيث شاء الله تعالى من العلا ، وأكرمه الله تعالى بما شاء ، فأوحى إلى عبده ما أوحى[1] .

---

(١) قال الشيخ زاهد الكوثري ـ رحمه الله ـ :
* الإسراء والمعراج آيتان من آيات الله الكبرى ، اختص بهما المولى فخر رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .
* والإسراء مسراه ﷺ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهذا ثابت بنص القرآن فيكفر منكره .
* أما المعراج : فعروجه إلى ما فوق السموات العلى ، وهذا ثابت بأحاديث صحيحة فيعد منكره مبتدعاً لا كافراً .
* وقد كانا بالروح والجسد .
* ولا معدل عمّا ذهب إليه جمهور أهل العلم من أن المعراج والإسراء كانا في حالة اليقظة ، وفي ليلة واحدة ، أخذاً بالدليل المستفيض السالم من العلل ، ونبذاً للأخبار التي فيها علل .
رجح النّواوي ـ رحمه الله ـ أنها كانت أي الإسراء والمعراج الليلة السابعة والعشرين من شهر رجب ، وإليه ذهب ابن الأثير والرافعي .
ولقاؤه ﷺ رسل الله وأنبياءه عليهم السلام في السموات لقاء روحاني ، وتعارف معنوي بينهم ، وتعريف لهم بما له ﷺ من المنزلة السامية وفي ذلك ، وفي إمامته ﷺ لجماعة الأنبياء تكريم عظيم له من الله سبحانه . ا . هـ عن المقالات بتصرف ، ص ٤١٦ وما بعدها .
وهذه الرحلة ترويح لروحه ﷺ من عنت ذلك العام الشاق الذي صادف فيه إدبار الطائف عن دعوته ووفاة زوجه وعمه .
ومادام الحديث عن الإسراء والمعراج ـ وهو ما اختص به سيدنا محمد ﷺ ـ فلنتبع الكلام عن رسول الله ﷺ بذكر ما ينبغي معرفته بالضرورة من سيرته ولا ينبغ للمسلم الجهلَ بها .

=

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم : ١١] ، فصلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى .

= نسبه الشريف :

« محمد رسول الله ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، بن قصي ، بن كِلاب ، بن مُرَّة ، بن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ، بن فِهْر ، بن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مُدرِكة ، بن إلياس ، بن نزار ، بن معدّ ، بن عدنان » ا .هـ عن السيرة النبوية للإمام النووي ص ٧ .

أمه :

« السيدة آمنة بنت وهب » .

مكان ولادته وتاريخها :

« ولد في مكة يوم الإثنين ٩ ربيع الأول ٥٧١ م » .

مبعثه :

« في الأربعين من عمره الشريف ، نزل عليه الأمين جبريل عليه السلام ، وهو في غار حراء ، فغطَّه ثلاثاً وخاطبه يقظة شفاهاً ، وبلّغه رسالة ربه عز وجل » .

وفاته :

« في الثالثة والستين من عمره الشريف توفّاه الله تعالى ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى بعد أن أدى الأمانة وبلّغ الرسالة ونصح الأُمَّة » .

مكان وفاته :

« وقبره الشريف في المدينة المنورة » .

محبته :

* محبة خالصة واجبة ويكون ذلك :
* بتعظيم أمره .
* واتباع سنته .
* وخدمة شريعته ، ونشر أخلاقه في الأمة ، والإكثار من الصلاة عليه ﷺ وبارك عليه .

الأصل الخامس

« الإيمان بالآخرة »

« القبر أول منازل الآخرة »

أولاً : ما يتعلق بالموت :

* نؤمن بملك الموت[1] الموكَّل بقبض أرواح العالمين ، وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً[2] ، وسؤال منكر ونكير للميت في

---

(١) تسميته بعزرائيل دلّت عليه بعض الآثار ، كما يقول الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره ، ومعنى عزرائيل « عبد الجبار » . انظر مختصر تفسير ابن كثير (٣/ ٧٣) في سورة السجدة ، آية : ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ ﴾ [السجدة : ١١]

(٢) يقول د . عبد الملك السعدي : عذاب القبر ليس المراد به الحفرة التي يدفن فيها الميت فقط ، بل المراد أي مكان يحل فيه بعد الموت سواء الأرض أو الهواء أو البحار أو بطون الحيوانات وغيرها عن شرحه للنسفية ص ٢٦ .
وإضافة العذاب للقبر على سبيل التغليب .
ويقول الإمام ابن أبي العز ـ رحمه الله ـ :
« وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة ، تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به .
واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ « البرزخ ما يكون بين الموت ويوم=

قبره[1] عن ربه ، ودينه ، ونبيه ، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين[2] .

* والقبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار[3] .

= القيامة » فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أم لم يقبر ، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء ، أو صلب ، أو أغرق في البحر ، وصل إلى روحه من العذاب ما يصل إلى القبور » ا . هـ عن شرحه للطحاوية (٢/ ٥٧٩ـ٥٨٠) .

(١) منكر ونكير : هما ملكان يسألان العبد في القبر ، وسميا بذلك لإتيانهما الميت بهيئة منكرة ، وقيل هما للكافر والفاسق ، ومبشر وبشير للمؤمن . انظر الجزء الرابع من تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للمباركفوري رحمه الله ، باب ما جاء في عذاب القبر .

(٢) من هذه الأخبار : ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال : « إن العبد إذا وضع في قبره ، وتولى عنه أصحابه ـ وإنه ليسمع قرع نعالهم ـ أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ ـ لمحمد ﷺ ـ ، فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً » .

قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له في قبره ، ثم رجع إلى حديث أنس ، قال : وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال : لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة سمعها من غير الثقلين » البخاري (١٣٧٤) ، ومسلم (٩٠٥) .

(٣) هذا قطعة من حديث أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة برقم (٢٤٦٠) (ثم قال : حسن غريب)، والطبراني في الأوسط (٩/ ٨٦١٣) ، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٦١) .

نسأل الله أن يكرمنا بقبور كرياض الجنة ، وأن يعيذنا من غيرها

فائدة :

والعذاب للكافر والمنافق دائم ديمومة البرزخ ، وينقطع عن المؤمن =

ثانياً : أشراط الساعة :

* ونؤمن بأشراط الساعة[1] منها :

= العاصي إن خفّت جرائمه ، كما يرفع بالدعاء أو الصدقة أو غير ذلك ، كما قاله ابن القيم رحمه الله ، وكل من لا يسأل في القبر لا يعذب . ا .هـ شرح الجوهرة للباجوري ص ٤٦٦ ت تتان وكيلاني .

ذكرى

يقول الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ :

« جدير بمن الموت مصرعه ، والتراب مضجعه ، والدود أنيسه ، ومنكر ونكير جليسه ، والقبر مقره ، وبطن الأرض مستقره ، والقيامة موعده ، والجنة أو النار مورده ، أن لا يكون له فكر إلا في الموت ، ولا ذكر إلا له ، ولا استعداد إلا لأجله ، ولا تدبر إلا فيه ، ولا تطلع إلا إليه ، ولا تعريج إلا عليه ، ولا اهتمام إلا به ، ولا حول إلا حوله ، ولا انتظار وتربص إلا له ، وحقيق بأن يعتبر نفسه من الموتى ، ويراها في أصحاب القبور ، فإن كل ما هو آت قريب ، والبعيد ما ليس بآت ، وقد قال رسول الله ﷺ :

« الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت » .

عن موسوعة إحياء علوم الدين (٤/ ٤٧٥) .

(١) يقول د . البوطي ـ حفظه الله ـ :

« وأمّا عن علامات الساعة وأشراطها التي تكون بين يديها ، فقد حدثنا كلٌّ من الكتاب والسنة عن أشراط لها ، ولا شك أن جملة هذه الأشراط مما هو معروف من الدين بالضرورة ، فلا يجوز للمسلم أن ينكرها أو يمتري بها ، وإن كانت داخلة في المغيبات التي لم تقع بعد ، وأمّا النظر التفصيلي في كلٍّ منها فإن ذلك يقتضينا أن نقسم هذه الأشراط إلى قسمين : فأما القسم الأول منها فثابت بالخبر المتواتر الذي يورث القطع واليقين ، وأما القسم الثاني فمنقول إلينا عن طريق الآحاد » ا .هـ ، كبرى اليقينيات الكونية ، ص ٣١٨ .

قلت : والعلامات التي ذكرها الإمام الطحاوي مما يدخل في القسم الأول ، أي مما ورد به الخبر القطعي فكان الإيمان بها واجباً . =

خروج الدجال[1] ، ونزول عيسى عليه السلام[2] ، وبطلوع

= **نص حديثي في ذكر بعض علامات يوم القيامة .**

« عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه ، قال : اطلع النّبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال : وما تذاكرون ؟ قالوا : نذكر الساعة ، قال : إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات ، فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ﷺ ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم » . رواه مسلم (٢٩٠١) (٤٠) (٤١) ، والترمذي (٤/ ٢١٨٣) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وغيرهما .

(١) ويدعي الربوبية ومعه الخوارق ، والدجال لقبٌ لُقِّب به لشدة تدجيله وكذبه ، ولقدرته الخارقة على تغطية الحق بالباطل ، ولعلك تتوق لمعرفة سبيل النجاة يرشدنا إليه الشيخ النبهاني ـ رحمه الله ـ ، فيقول : « وأمّا كيفية النجاة منه ، فاعلم أن النجاة منه بالعلم والعمل ، **أما العلم** : فيعلم بأنه يأكل ويشرب ، وأن الله منزه عن ذلك ، وأنه أعور ، وأن الله ليس بأعور ، وأن أحداً لا يرى ربه حتى يموت ، وهذا يراه الناس أحياء قبل موتهم ، وغير ذلك ، **وأما العمل** : فبأن يلتجىء إلى أحد الحرمين ، فإنه لا يدخلهما ، أو إلى المسجد الأقصى أو مسجد الطور ، ففي بعض الروايات أنه لايدخلهما أيضاً ، وبأن يقرأ عشر آيات من أول سورة الكهف ، وبأن يهرب منه في الجبال والبراري ، فإنه أكثر ما يدخل في القرى ، فعن عبيد بن عمير : ليصحبن الدجال أقواماً يقولون : إنا لنصحبه ، وإنا لنعلم أنه لكافر ولكنا نصحبه نأكل من طعامه ونرعى من الشجر ، فإذا نزل غضب الله ، نزل عليهم كلهم » رواه نعيم بن حماد . وبأن يتفل في وجهه ، فعن أبي أمامة مرفوعاً : « فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه » رواه الطبراني . وبالتسبيح والتكبير والتهليل ، فإنه قوت المؤمنين في ذلك القحط ، وإن من ابتلي به فليثبت وليصبر وإن رماه في النار فليغمض عينيه وليستعن بالله تكن عليه برداً وسلاماً . ا .هـ ، علامات يوم القيامة ص ١١٠ وما بعدها .

(٢) نزوله ثابت بالقرآن وبالصحيح المتواتر من السنة ، وورد في الصحيح أنه يبقى أربعين سنة . =

الشمس من مغربها[1] . وخروج دابة الأرض من موضعها[2] .

ثالثاً : يوم القيامة وأحداثه :

* نؤمن بالبعث[3] وبجزاء الأعمال يوم القيامة ، والعرض[4] ، والحساب[5] ، وقراءة الكتاب[6] والثواب والعقاب

---

(١) علامة تفردت السنة بذكرها .

(٢) تعبير قرآني نكل علم نوعه وشكله وهيئته إلى الله عز وجل . ا .هـ ، مبادىء العقيدة ، ص ٣٤٧ لسعادة د . مصطفى سعيد الخن .

(٣) **البعث** : إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء وهناك .
الحشر : سوقهم جميعاً إلى الموقف ، وهو الموضع الذي يقفون فيه لفصل القضاء ووزن الأعمال ، ومنه إلى جنة أو إلى نار ، وهو أرض لم يعص الله عليها .

(٤) ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ﴾ [الكهف : ٤٨] ، يؤمر الناس بالاصطفاف والوقوف استعداداً كوقفة الجندي وصف العساكر .

(٥) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [غافر : ١٧] . الحساب حق ثبت بالكتاب والسنة والإجماع ، وتوقيف الله الناس على أعمالهم خيراً كانت أم شراً ، قولاً كان أو فعلاً بعد أخذهم كتبها ، ويشمل الحساب المؤمن والكافر من الإنس والجن ، إلا من استثنى الله تعالى منهم ، وفيه شهادة الألسنة والأيدي والأرجل والسمع والجلد والأرض والليل والنهار والحفظة ، قال تعالى :
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [فصلت : ٢٠-٢١] ، أما الأنبياء وسائر الصلحاء فهم عن كل هذا مبعدون .

(٦) قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ [الانشقاق : ٦-١٢] ، فأخذ الصحف واجب لوروده بالكتاب والسنة ، ولانعقاد الإجماع عليه ، فمن أنكره كفر ، والصحف هي الكتب التي كتب فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا ، ولكل =

والصراط[1] .

* والميزان[2] ، والحوض[3] الذي أكرم الله تعالى به [سيدنا

= مكلف صحيفة واحدة يوم القيامة ، وإن كانت متعددة في الدنيا فكل إنسان بيده صحيفته ، ولكل إنسان كتابه الذي ضم ما سجلته الملائكة عليه ، وهناك الكتاب الذي يسجل فيه كل شيء على الأفراد والأمم .

(١) يجب الإيمان به لورود الدليل السمعي ، معناه لغة : الطريق ، لأنه يصرط المارة ، أي يبتلعهم ، شرعاً : جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون حتى الكفار ، إلا أن الحليمي ذهب إلى أنهم لا يمرون ، ويجوز أنه قصد بالكفار الذين لا يمرون من تلقي بهم الملائكة في النار من الموقف ، وكل من يمر ساكت إلا الأنبياء يقولون : اللهم سَلِّم سَلِّم ، وفي بعض الروايات أنه أدق من الشعرة ، وأحدُّ من السيف ، ا .هـ شرح جوهرة التوحيد ، ص ٤٠٥ .

نص حديثي في الصراط : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تخطف الناس يميناً وشمالاً ، وعلى جنبيه ملائكة يقولون : اللهم سَلِّم ، اللهم سَلِّم ، فمن الناس من يمر مثل البرق ، ومنهم من يمر كالرمح ، ومنهم يمر كالفرس المجرى ، ومنهم من يسعى سعياً ، ومنهم من يمشي مشياً ، ومنهم من يحبو حبواً ، ومنهم من يزحف زحفاً ، فأما أهل النار هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون ، وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحماً ، ثم يؤذن بالشفاعة » رواه البخاري (٤٥٨١) ، ومسلم (١٨٣) ، وغيرهما .

(٢) ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] .

(٣) لكل رسول حوضه الذي ترد عليه أمته ، وحوض رسولنا ﷺ هو أكثرهم وروداً .

نصوص حديثية في الحوض :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « حوضي مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من الورق ، وريحه أطيب من المسك ، كيزانه كنجوم السماء ، فمن شرب منه فلا =

محمد ﷺ] غياثاً لأمته حق .

* والشفاعة التي ادخرها الله لهم كما روي في الأخبار(١) .

= يظمأ بعده أبداً » رواه البخاري (٦٥٧٩) ، ومسلم (٢٢٩٢) .

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : يارسول الله ، ما آنية الحوض ؟ قال : « والذي نفس محمد بيده ، لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ، ألا في الليلة المظلمة المصحية ، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يسحب منه مزابان من الجنة ، فمن شرب منه لم يظمأ ، عرضه مثل طوله ما بين عُمَان إلى أيلة وماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل » رواه مسلم (٦٠٨٢) ، والترمذي (٢٤٤٥) .

(١) قال الإمام المقدسي :

« ويعتقد أهل السنة ويؤمنون أن النّبي ﷺ يشفع يوم القيامة لأهل الجمع كلهم شفاعة عامة ، ويشفع في المذنبين من أمته فيخرجهم من النار بعدما احترقوا » ا . هـ الاقتصاد في الاعتقاد ، ص ١٦٤ .

والآن لنبدأ بالحديث عن الشفاعة :

أولاً : تعريفها : سؤال الخير للغير ، وهي تكون يوم القيامة من الأنبياء والملائكة والعلماء العاملين والشهداء والصالحين والمؤمنين وأولاد المؤمنين والمؤمنات ممن مات صغيراً ، وتشفع بعض الأعمال فيشفع القرآن ويشفع الصيام ، والشفاعة عند الله لا تكون إلا بإذنه .

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [المدثر : ٢٨] .

ثانياً : ومن أعظم شفاعات رسول الله ﷺ شفاعته لفصل القضاء ، ثم شفاعته لعبور الصراط ، ثم شفاعته لدخول الجنة ، ومن شفاعاته عليه الصلاة والسلام شفاعته في قوم يدخلون الجنة بغير حساب ، ومنها شفاعته في قوم حوسبوا واستحقوا العذاب ألا يعذبوا ، ومنها الشفاعة في إخراج عصاة المؤمنين من النار ، ومنها شفاعته ﷺ لأقوام أن ترفع درجاتهم في الجنة .

ثالثاً : من الأسباب التي ينال بها العبد الشفاعة :

١ـ الدعاء عقب الأذان وسؤال الوسيلة والمقام المحمود لرسول الله ﷺ .

٢ـ الموت في أحد الحرمين .

٣ـ كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ . =

. . . .

= **رابعاً : أنواع شفاعاته ﷺ :**

قال الإمام العلامة ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ :

النوع الأول : شفاعته الأولى وهي العظمى الخاصة به من بين سائر إخوانه من المؤمنين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين . وهي التي يرغب إليه فيها الخلق كلهم حتى الخليل إبراهيم وموسى الكليم ، ويتوسل الناس إلى آدم فمن بعده من المرسلين ، فكل يحيد عنها ، ويقول : لست بصاحبها حتى ينتهي الأمر إلى سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة محمد رسول الله ﷺ دائماً فيقول : أنا لها ، أنا لها ، فيذهب فيشفع عند الله عز وجل في أن يأتي للفصل بين عباده ، ويريحهم من مقامهم ذلك ، ويميز بين مؤمنهم وكافرهم بمجازاة المؤمنين بالجنة والكافرين بالنار .

النوع الثاني والثالث : شفاعته ﷺ في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة ، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوا .

النوع الرابع : شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها ، فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم ، وقد ذكر القاضي عياض وغيره نوعاً آخر من الشفاعة .

النوع الخامس : في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب ، ولم أر لهذا شاهداً فيما علمت ، ولم يذكر القاضي فيما رأيت مستند ذلك ، ثم تذكرت حديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، والحديث مخرج في الصحيحين كما تقدم ، وهو يناسب هذا المقام ، وذكر أبو عبد الله القرطبي في التذكرة نوعاً

النوع السادس : وهو شفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عذابه ، واستشهد بحديث أبي سعيد في صحيح مسلم (٢١٠) : أن رسول الله ﷺ ذكر عنده أبو طالب فقال : « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه » ، ثم قال : فإن قيل فقد قال تعالى : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر : ٤٨] .

قيل له : لا تنفعه في الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة .

النوع السابع : شفاعته ﷺ لجميع المؤمنين قاطبة في أن يؤذن لهم في دخول الجنة .

وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق .

مسائل ملحقة بالأصل الخامس :

وتشتمل على أهل الكبائر

الجنة والنار

أولاً : أهل الكبائر :

* وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون ، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين ، وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله ، كما قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨] وإن شاء عذبهم في النار بقدر

= النوع الثامن : شفاعته في أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ ممن دخل النار فيخرجون منها ، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث . ا .هـ عن النهاية في الفتن .

نصوص حديثية في الشفاعة :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كل نبي سأل سؤالاً ، ـ أو قال : ـ لكل نبي دعوة قد دعاها لأمته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » رواه البخاري (٦٣٠٤) ، ومسلم (١٩٨) ، وغيرهما .

قال رسول الله ﷺ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة » رواه مسلم (١٩٦) (٣٣١) .

عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج من النار قوم بالشفاعة كأنهم الثعارير » قلنا : ما الثعارير ؟ قال : « الضغابيس » .

الثعارير صغار القثاء وهي الضغابيس . البخاري (٦٥٥٨) ، ومسلم (١٩١) (٣١٧) . جميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان حق .

جنايتهم ، بعدله ، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ، ثم يبعثهم إلى جنته ، وذلك بأن الله مولى أهل معرفته ، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته ، ولم ينالوا من ولايته .

ثانياً : الجنة والنار :

* والجنة والنار[١] مخلوقتان لا يفنيان ، ولا يبيدان[٢] .

* وإن الله تعالى خلق الجنة والنار ، وخلق لهما أهلاً ، فمن شاء إلى الجنة أدخله فضلاً منه ، ومن شاء منهم إلى النار أدخله عدلاً منه ، وكل يعمل لما قد فرغ منه ، وصائر إلى ما خلق له .

* وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة ، ويدخل النار جملة واحدة ، ولا يُزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه ، وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أنهم يفعلونه ، وكل ميسر لما خلق له ، والأعمال بالخواتيم .

---

(١) الجنة أم النار ؟ إنها نهايتنا يا أُخيَّ فهل تذكرنا أم غفلنا ؟

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها   إلا التي كان قبل الموت يبنيها

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [الحشر : ١٨-١٩] .

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .

يقول الأستاذ أديب كلكل : « فاعمل يا أخي للجنة على قدر بقائك فيها ، واعمل للنار على قدر صبرك عليها ، واعمل للدنيا على قدر مكثك فيها ، واعبد ربك بقدر حاجتك إليه » . صور الإيمان ، ص ٣٨ .

(٢) يقول الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله تعالى في كتابه أصول الدين :

« أجمع أهل السنة وكل من سلف من أخيار الأمة على بقاء دوام الجنة والنار على دوام نعيم أهل الجنة ، ودوام عذاب الكفار في النار » ا .هـ ، ص ٢٣٨ .

الأصل السادس

« الإيمان بالقضاء والقدر »

* أصل القدر : سر الله تعالى في خلقه ، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل ، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ، ودرجة الطغيان ، فالحذر كل الحذر من ذلك ، نظراً وفكراً ووسوسةً ، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ، ونهاهم عن مرامه ، كما قال تعالى في كتابه : ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .

فمن سأل : لم فعل ؟ فقد ردّ حكم كتاب الله ، ومن ردَّ حكم كتاب الله تعالى كان من الكافرين .

* وعلى العبد أن يعلم :

أن الله قد سبق علمه في كل شيء كائن من خلقه ، وقدّر ذلك بمشيئته تقديراً محكماً مبرماً ، ليس فيه ناقض ولا معقب ، ولا مزيل ولا مغير ولا محول ، ولا زائد ولا ناقص من خلقه في سماواته وأرضه ، وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة ، والاعتراف بتوحيد الله وربوبيته ، كما قال تعالى في كتابه العزيز :

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢] .

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب : ٣٨] .

* وكل يجري بمشيئة الله عز وجل وعلمه وقضائه وقدره ، غلبت مشيئته المشيئات كلها ، وغلب قضاؤه الحيل كلها ، يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً ، تقدس عن كل سوء وحين ، وتنزه عن كل عيب وشين ، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .

* والسعيد من سعد بقضاء الله تعالى ، والشقي من شقي بقضاء الله تعالى .

* والخير والشر مقدّران على العباد .

* ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رقم ، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه جفَّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ، وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه ، وما أصابه لم يكن ليخطئه .

* فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى ، وهي درجة الراسخين في العلم لأن العلم علمان : علم في الخلق موجود[١] ، وعلم في الخلق مفقود[٢] ،

---

(١) العلم الموجود : علم الشريعة أصولها وفروعها ، فمن أنكر شيئاً مما جاء به الرسول كان من الكافرين ، ومن ادعى علم الغيب كان من الكافرين ، ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن : ٢٦-٢٧] .

(٢) العلم المفقود : علم القدر الذي طواه الله عن أنامه ، ونهاهم عن مرامه . قال سيدنا علي رضي الله عنه :

القدر بحر عميق فلا تلجه ، وطريق مظلم فلا تسلكه ، وسر الله قد خفي عليك فلا تفشه

إنما الغيب كتاب صانه عن عيون الخلق ربُّ العالمين

ليس يبدو منه للناس سوى صفحة الحاضر حيناً بعد حين=

فإنكار العلم الموجود ، وادعاء العلم المفقود كفر ، ولا يصح

= هذا ونظراً لأهمية موضوع القضاء والقدر أضفت هذا التعليق الواسع بعض الشيء لتتم الفائدة به وبكلام المصنف ـ رحمه الله ـ .

لقد ذُكرت أركانٌ خمسة من أركان الإيمان في القرآن مجتمعة إلى جانب بعضها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] ، ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد : ٢٢] ، ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد : ٣٩]

« قال الإمام النووي رحمه الله : قال الخطّابي : وقد يحسب كثير من الناس أنّ معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه وتعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه ، وليس الأمر كما يتوهمونه ، وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما سيكون من إكساب العبد وصدورها عن تقدير منه » ا . هـ شرحه على صحيح مسلم (١/ ١١٠) .

فالقدر : هو علم الله تعالى بالأزل بما تكون عليه المخلوقات كلها في المستقبل .

والقضاء : هو إيجاد الله الأشياء حسب علمه الأزلي وإرادته وبعضهم عكس التعريف .

هذا وقد تطلق كلمة القدر على النظام المحكوم الذي أقام الله عليه أمر الوجود وذلك داخل في القدر بمعناه الأشمل ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] على أحد وجهين في التفسير ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر : ٢١] ، ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد : ٨] .

إن عقيدة القضاء والقدر هي التحقيق لمعان متعددة تشمل :

* معرفة الله والعبودية له والاستسلام والتسليم والتوكل ، وهي تأكيد لعقيدة أهل السنة والجماعة بأن كل شيء بإرادة الله وعلمه وقدرته ، وهي لا تنفي الاختيار ولا تعني الجبر .

* إن هناك مشيئة نافذة وقدراً تمضي عليه أمور العالم ، وهذا لابد منه لأن هذا العلم مظهر لأسماء الله ومظهر للتعرف على الله فاقتضت حكمة الله أن يكون الجزء الاختياري الذي تقوم به الحجة على الخلق موجوداً ومحسوساً ، ولكن بدلاً من أن يكون ذلك على طريقة القوة المودعة كما تقول المعتزلة كان =

الإيمان إلا بقبول العلم الموجود ، وترك طلب العلم المفقود .

= ذلك بالإمداد المباشر ، ومن سوء الفهم لهذه الحقيقة وقع الخلط والخبط فالمعتزلة لم يتصوروا الاختيار إلا من خلال القوة المودعة ، والجبرية رأوا واقع الحال أن كل شيء بعلم الله وإرادته فقالوا : بالجبر المحض ، وأهل السنة رأوا أن الاختيار أصلٌ فقدرة الله تعمل على وفق مشيئته ، ومشيئته تعمل على وفق علمه ، والعلم كاشف لا مجبر ، ولكن أبى الله أن يكون معه فاعل يستقل بخلق شيء ، ومن ههنا كان الإيمان بالقدر هو فرع الإيمان بالله ، فمن عرف الله وإرادته وقدرته آمن بالقدر ، والله يعلم الأشياء كلها أزلاً وخصص أزلاً ما أراد وجوده منها بالوجود ، وأبرزت قدرته ما أراد وسجل ذلك كله في اللوح المحفوظ ، وذلك هو القدر .

فالقضاء والقدر يتضمنان الإيمان بعلم الله وإرادته وقدرته ، كما يتضمنان الإيمان باللوح المحفوظ ؛ لأن الله أخبرنا عن ذلك .

مسائل هامة :

أولاً : يجب على العبد أن يصدق بالقدر ، وأن يستسلم لله عز وجل فيما قدره ، وأن التسليم فيما يقع يجب أن يرافقه شكر على الطاعة ، وتوبة عن المعصية .

ثانياً : أن يعتقد المسلم أنه مختار فيما يستقبل من الزمن في الأمور التكليفية ، ويتصرف على أنه مختار .

ثالثاً : أن يسلم لله حكمه في شأن القدر ، وألا تدخل عليه الوسوسة في كيفية الجمع بين الاختيار والكسب ، وبين أن كل شيء بإرادة الله وقدرته ، فالله علم ما كان وما يكون ، فأراده فأبرزه بقدرته ، وههنا حد لا يسأل عنه ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] ، وسجل ذلك في اللوح المحفوظ ، وما جرى وما يجري الآن وما سيجري ، كل ذلك أثر علمه وإرادته وقدرته وعلى مقتضى ما سجله في اللوح المحفوظ .

رابعاً : هناك فارقٌ بين المشيئة الإلهية من جهة وبين الأمر والرضا من جهة أخرى ، فكل شيء كان ويكون بإرادته ، ولكن ليس كل شيء كان ويكون بأمره التشريعي أو رضاه ، فكفر الكافر ، ومعصية العاصي ، ليست بأمره التشريعي ولا برضاه ، لكنهما بإرادته ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [الأعراف : ٢٨] ، ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [فاطر : ٨] . =

= **خامساً** : لا يصح احتجاج الكافر والضال والفاسق بالمشيئة على الكفر والمعصية والضلال .

سادساً : الخوض بالقدر من علامة اضطراب القلب وعدم طمأنينته ، ولذلك فقد كُره البحث في القدر ؛ لأن الكلام غير الدقيق فيه قد يؤدي إلى التشويش .

سابعاً : نفت بعض الفرق الإسلامية القدر خشية أن تنسب إلى الله الظلم في فهمها ، فوقعت في ظُلمٍ أشد ؛ لأنها نفت عن الله عز وجل شمول الإرادة والقدرة والعلم .

الخلاصة

إن الإيمان بالقدر هو المظهر الأعلى لمعرفة الله ، ولمعرفة صفاته وأفعاله ، وهو الذي يناسب مقام الإنسان في العبودية ، وهو الذي يتفق وافتقار الإنسان ، وهو الذي يسبغ على الإنسان رضاً وسعادة ، وهو الذي يعطي الإنسان شجاعة وإقداماً ، والإيمان بالقدر هو مفتاح التوكل على الله ، وهذه وغيرها من إيجابيات عقيدة القدر فنحن مكلفون في آن واحد بأشياء : نحن مكلفون بالإيمان بالقدر ، ومكلفون في الوقت نفسه بالتوكل ، ومكلفون بالعمل والأخذ بالأسباب ، فالمعرفة والإيمان والتسليم هي آداب المسلم في هذا المقام .

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٢٩] .

لقد سئل الإمام أحمد عن القدر فقال : « القدر قدرة الرحمن » .

وقال الإمام الطحاوي : « كل شيء يجري بتقديره ومشيئته ، ومشيئته تنفذ لا مشيئة العباد ، إلا ما شاء الله ، فما شاء لهم كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا رادّ لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، ولا غالب لأمره » .

تأمّل قول هذين العالمين ، وتأمّل قوله عليه الصلاة والسلام ، وقد سأله حكيم بن حزام فقال :

قلت : يارسول الله ، أرأيت رقاة نسترقي بها ، ودواءً نتداوى به ، وتقاة نتقيها ، هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ قال : « هو من قدر الله » أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٠٢) والطبراني (٣٠٩٠) .

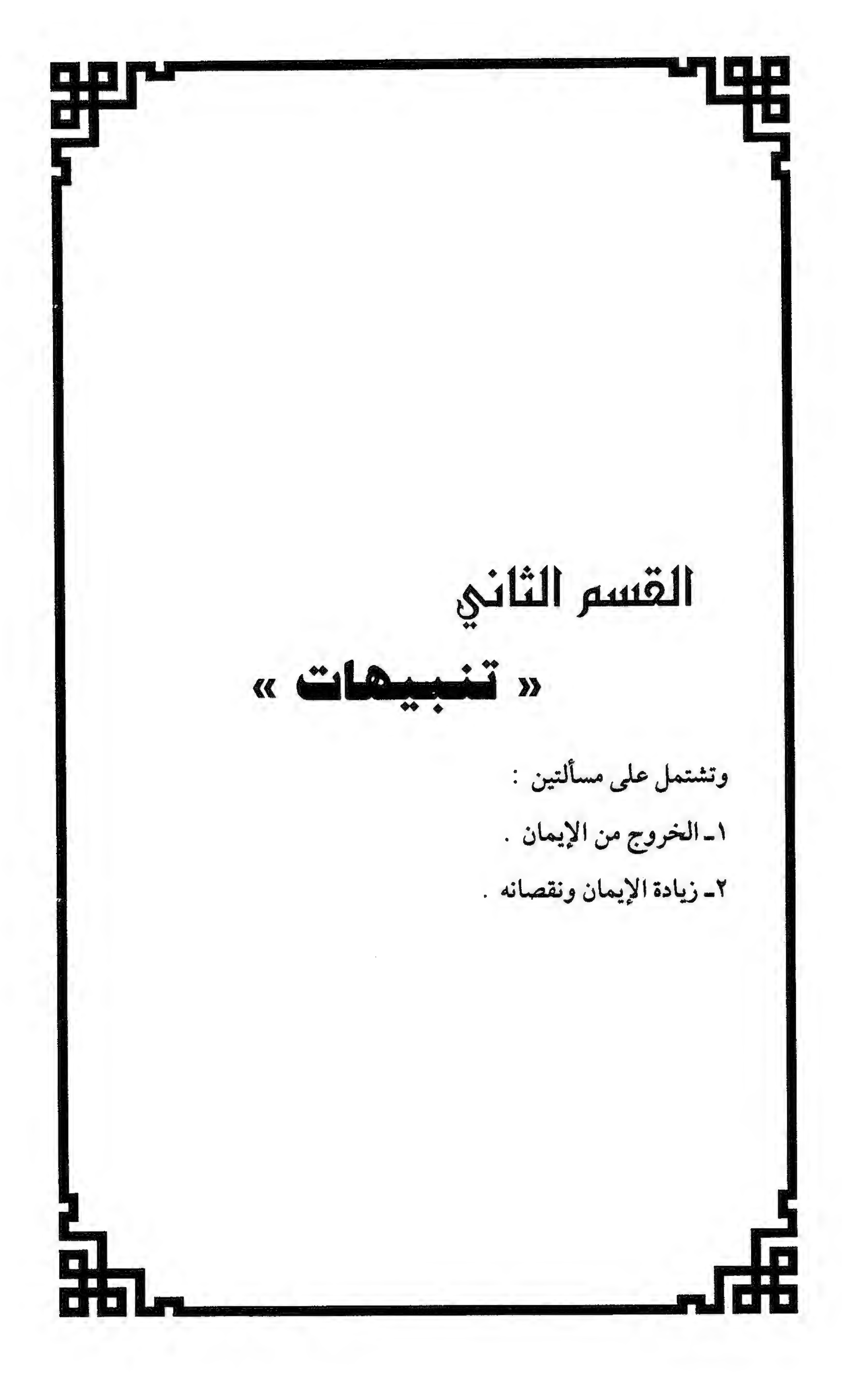
قلباً سقيماً ، لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سراً كتيماً ، وعاد بما قال فيه أفّاكاً أثيماً .

* * *

= وقوله عليه الصلاة والسلام لمن سأله : أيترك ناقته بلا عقل ويتوكل ؟ فقال : « اعقلها وتوكل » أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧٣١) والحاكم (٣/ ٦٢٣) وقال الذهبي : سنده جيّد .

لتعلم أن القدر ترتبط فيه مسائل كثيرة ، فهو يجمع أسرار العقيدة الإسلامية في باب الألوهية ، ولذلك كان الإيمان بالقدر ، والقيام بالتكليف ، مع الأخذ بالأسباب ، هي من علامات التوفيق الرباني .

ـ وهكذا وبعد أن تمت أركان الإيمان الستة أحب أن أذكر بما قلته بداية : إنه مع استحضار القناعة العقلية لهذه الأصول الإيمانية لابد من تحصينها ليكون الواحد منا صاحب إيمان بنّاء صادٍّ عن كل قبيح فتثمر في ربوع حياتنا فاعلية إيجابية ترسم ملامح الإنسان الصالح .



القسم الثاني

« تنبيهات »

وتشتمل على مسألتين :

١ـ الخروج من الإيمان .

٢ـ زيادة الإيمان ونقصانه .



أولاً: الخروج من الإيمان

ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه[١] .

---

(١) هذه قاعدة جليلة ، أمّا ما يوضحها ويظهر صور الجحود ـ والعياذ بالله منها ـ فهذه أمثلتها .

صور الجحود :

١ـ الاعتقادية :

ما يدخل في باب الإلهيات :

مثاله : إنكار الخالق ، أو إنكار صفة من صفات الكمال ، أو وصفه بما هو منزه عنه .

ما يدخل في باب النبوءات :

مثاله : إنكار الأنبياء الذين ورد الخبر القاطع بالإعلام بهم ، أو إنكار أحدهم ، أو إنكار عموم رسالة محمد ﷺ ، وأنه خاتم الأنبياء .

ما يدخل في باب السمعيات « الغيبيات » :

مثاله : إنكار البعث والقيامة بالروح والجسد ، أو اعتقاد أنّ النعيم والعذاب روحاني لا صلة للجسم بذلك ، أو إنكار الملائكة .

٢ـ القولية :

بأن يقول ما لا يجوز مما يستحيل على الله سبحانه : كالوصف بالجهل وغير ذلك ، وكذلك الاعتراض على عدله وقضائه وقدره واتهامه بالجور .

٣ـ الفعلية :

كالسجود للأصنام .

الإسلام وقضية التكفير

اشتط ناسٌ في موضوع التكفير حتى تجاوزوا الحدود العلمية والفقهية في =

. . . .

= هذا الشأن ، فاقتضى ذلك تنبيهاً ؛ لأن المسارعة في التكفير ليست من خلق أهل السنة والجماعة ، فأهل السنة والجماعة لا يكفرون إلا بما يوجب التكفير قطعاً ، فالهجوم على التكفير خطر إلا فيما كان واضحاً وضوح الشمس لا يحتمل تأويلاً ، أو ما حكم فيه أهل الفتوى أنه ردة .

قال أهل العلم : لا نكفر مسلماً أقرَّ بالشهادتين وعمل بمقتضاها برأي أو معصية ، إلا إذا أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، أو كذب صريح القرآن ، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب العربية بحال ، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر .

ولما كان الإيمان هو التصديق بجميع ما جاء به النَّبي ﷺ ، ووصل إلينا عنه بطريق يقيني كان الكفر نقيضه .

قال الرازي في تفسيره : الكفر عدم تصديق الرسول ﷺ بشيء مما علم بالضرورة مجيئه .

واعرف ـ بوركت ـ : أن المسلم ينطلق في رحلته على هذه المعمورة محباً للبشرية جمعاء ، يهدي خلق الله حسن السلوك ، وحسن الخدمة ، وحسن المحبة والأشواق ، فبضاعته الحب في الله ، وشعاره الإخاء في الله ، وغايته مرضاة الله ، فإن رأى مقصراً في جنب الله لم يسارع إلى تفسيقه أو تبديعه أو تكفيره ؛ لأنه يمتلك نظرية متكاملة شعارها : نحن دعاة لا قضاة .

يعلق فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي على هذا الشعار فيقول ـ حفظه الله ـ :

« وفرق كبير بين القاضي والداعي :

القاضي : يجب أن يبحث عن حقيقة الناس حتى يحكم لهم أو عليهم ، ولابد له من أن يصفهم ويعرف مواقفهم ليقضي لهم بالبراءة أو العقوبة ، ثم إن موقف القضاء يجعلنا ننظر إلى الناس على أنهم متهمون ، والأصل أنهم برآء .

أما الداعي فهو : يدعو الجميع ، ويبلغ الجميع ، إنه يصدع بكلمة الإسلام يدعو إليها كل الناس من كان ضالاً فليهتد ، ومن كان عاصياً فليتب ، ومن كان كافراً فليسلم ، والداعي لا يعمل على عقوبة المخطىء ، بل يعمل على هدايته ، ولا يتعقب المرتد ليقتله ، بل يتبعه ليرده إلى حظيرة الإسلام » .

ا . هـ ، ظاهرة الغلو في التكفير ، ص ٩ .

ثانياً : زيادة الإيمان ونقصانه

« والإيمان واحد وأهله في أصله سواء ، والتفاضل بينهم بالتقوى ومخالفة الهوى ، والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن ، وأكرمهم أطوعهم وأتبعهم للقرآن »[1] .

---

(١) هذا رأي أبي حنيفة ومن تبعه ـ رحمهم الله ـ وهو يعني أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وإليك تفصيل هذا الرأي :

يقول الشيخ إسماعيل الشيباني رحمه الله :

قال أبو حنيفة وأصحابه رحمة الله عليهم أجمعين :

الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالقلب ، وأراد بالتصديق أن يعرف الله كما هو أهله ، ويعرف رسوله وجميع ما يجب معرفته في تصحيح الإيمان ، فيعتقد ذلك بقلبه تصديقاً ، ويجري على لسانه تحقيقاً .

وقال الشافعي ومالك وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وأبو العباس القلانسي وغيرهم رحمة الله عليهم : إنه إقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالأركان .

والحجة لأبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [التوبة : ١٨] .

فالله تعالى ميز بين الأعمال والإيمان .

ولأن رسول الله ﷺ كان يدعو إلى الإيمان ويقول : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله » البخاري (٢٥) ، ومسلم (٢١) ، (٢٢) .

وقال عليه السلام : « قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » رواه الإمام أحمد في مسنده .

=

. . . .

= علّق الفلاح بالقول لا بالعمل ، وأجمع المسلمون أن من صدّق بقلبه وأقرّ بلسانه ، ولم يعمل عملاً ، أنه كامل الإيمان ، ولهذا قال ﷺ لما قتل أسامةُ المشركَ بعد قوله لا إله إلا الله : « قتله وهو مسلم » ، قال : يارسول الله ، قالها متعوذاً من القتل ، فقال ﷺ : « هلاّ شققت عن قلبه » رواه مسلم (٩٦) .

أفاد هذا الحديث فائدتين :

إحداهما : الرد على من قال : إن الإيمان إقرار باللسان لا غير بقوله ﷺ : « هلاّ شققت عن قلبه » .

والفائدة الأخرى : الرد على من قال : إن العمل من الإيمان ، لأن النّبي ﷺ حكم بالإيمان بمجرد هذا القول ، وكذا قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ ﴾ [المائدة : ٤١] .

أيضاً انتظمت الآية الرد على الطائفتين وجهة الدلالة من الآية :

أن الله سبحانه وتعالى جعل الإيمان محله اللسان والقلب ، ولم يذكر الأعمال ، ولو كانت الأعمال من الإيمان لنفاه عن أعمالهم كما نفاه عن قلوبهم ، وكذا لم يجعلهم مؤمنين بمجرد القول بأفواههم لمّا لم يؤمنوا بقلوبهم ، والمعقول لا يشهد لذلك ، فإن الإيمان عن التصديق ، والكفر ضده ، وهو التكذيب ، والتصديق والتكذيب يقومان بالقلب واللسان ، ولا مدخل للأعمال في ذلك ؛ لأن التصديق مما لا يقبل التزايد في نفسه ولا يقبل النقصان ، شرح الطحاوية ، ص ٦٤ .

قلت :

لقد عرفت أدلة من قال بأن الإيمان واحد ، ولا زيادة فيه ولا نقصان ، وأن من قال بزيادة الإيمان ونقصه له أدلته أيضاً ، والمهم أن تعرف أن أهل السنة والجماعة اتفقوا على أهمية الأعمال وكونها ترجماناً معبراً لجملة أركان الإيمان ، ولا يجوز بحالٍ التساهل فيها فحتى الذين لم يعتبروا الأعمال جزءاً من الإيمان قالوا : « لا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله » إشارة إلى قيمة العمل .

القسم الثالث :

« تصورات إيمانية »

وتشتمل على ثلاث فقرات :

١ـ الفقرة الأولى : مسائل يُحذَّر المسلم منها .

٢ـ الفقرة الثانية : مسائل إيمانية .

٣ـ الفقرة الثالثة : من موضوعات الإيمان .



الفقرة الأولى :

« لا »

« أمور ينبغي للمسلم أن يحذرها
وأن تعافها نفسه »

* ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله .

ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنبٌ لمن عمله ، ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ، ويدخلهم الجنة برحمته ، ولا نأمن عليهم ، ولا نشهد لهم بالجنة ، ونستغفر لمسيئهم ، ونخاف عليهم ولا نقنتهم .

* ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف .

* ولا نرى الخروج على أئمتنا ، وولاة أمورنا ، وإن جاروا ولا ندعو على أحد منهم ، ولا ننزع يداً من طاعتهم ، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجلَّ فريضة ، ما لم يأمروا بمعصية ، وندعو لهم بالصلاح والنجاح والمعافاة .

* ولا نُفضِّل أحداً من الأولياء على أحدٍ من الأنبياء عليهم السلام ، ونقول : نبي واحد أفضل من جميع الأولياء ، ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصحَّ عن الثقات من رواياتهم .

* ولا نصدق كاهناً ولا عرّافاً ولا من يدعي شيئاً بخلاف الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

الفقرة الثانية :

« مسائل إيمانية »

« نظرات المرء من خلال إيمانه »

* ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ماداموا بما جاء به النَّبي ﷺ معترفين ، وله بكل ما قال وأخبر مصدقين غير مكذبين .

* ونرى الصلاة خلف كل برٍّ وفاجر من أهل القبلة ، ونصلي على من مات منهم ، ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً ، ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا نفاق ما لم يظهر منهم من ذلك شيء ، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى .

* ونرى الجماعة حقاً وصواباً ، والفرقة زيغاً وعذاباً .

* ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر .

* والحج والجهاد فرضان ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة ، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما .

* ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة ، ونحب أهل العدل والأمانة ، ونبغض أهل الفجور والخيانة .

* وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات .

الفقرة الثالثة :

« من موضوعات الإيمان »

« حب الصحابة من الإيمان »

* وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر ، وأهل الفقه والنظر ، لا يذكرون إلا بالجميل ، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل .

* ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات من كل دنس ، وذرياته المقدسين من كل رجس ، فقد برىء من النفاق .

* ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم ، ونبغض من يبغضهم وبغير الحق يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير ، وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان .

* ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ :

أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة .

ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ثم لعثمان بن عفان رضي الله عنه .

ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون ، الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون .

* وإن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة ، نشهد لهم بالجنة كما شهد لهم رسول الله ﷺ ، وقوله الحق ، وهم :

« أبو بكر الصديق » .

« عمر بن الخطاب » .

« عثمان بن عفان » .

« علي بن أبي طالب » .

« طلحة بن عبيد الله » .

« الزبير بن العوَّام » .

« سعد بن أبي وقاص » .

« سعيد بن زيد » .

« عبد الرحمن بن عوف » .

« أبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة » .

رضي الله عنهم أجميعن[١] .

* * *

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩) ، والترمذي (٣٧٤٧) ، وأحمد (١/ ١٨٨).



القسم الرابع :

« الحديث عن الإسلام وخصائصه »



الإسلام

* ودين الله في السماء والأرض واحد ، وهو دين الإسلام كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾(1) [آل عمران : ١٩] .

---

(١) ومن هنا نلحظ خطأ بعض الكتَّاب المسلمين الذين يذكرون كلمة « الأديان السماوية » .

يقول أستاذي الفاضل محمد خير الطرشان ـ حفظه الله ـ في مقال لحضرته :

« إن هذه الكلمة (الأديان السماوية) كلمة خاطئة ، فليس ثمة إلا دين حق سماوي واحد تعاقبت الأنبياء والرسل إلى الدعوة إليه والبعثة به ، فما من نبي ولا رسول من بعثة سيدنا آدم عليه السلام إلى بعثة سيدنا محمد ﷺ إلا كان يدعو إلى عقيدة واحدة هي : الإيمان بوجود الله ووحدانيته وتنزيهه عن كل ما لا يليق به من صفات النقص والإيمان باليوم الآخر والحساب والجنة والنار وغير ذلك ، فكان كل رسول يدعو قومه إلى الإيمان والاعتقاد بهذه الأمور كما كان كل واحد منهم يؤكد دعوة من بعث قبله ويبشر ببعثة من سيأتي بعده ، وهذا نجده واضحاً في قول الله تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ .

[الأنبياء : ٢٥]

وفي قوله أيضاً : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى : ١٣] .

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يلاحظ أن العقائد السابقة كلها تنطوي تحت دين واحد هو الإسلام ، الاسم القديم للعقائد السابقة ، ونجد ذلك واضحاً في=

وقال تعالى : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران : ٨٥] ، وقال تعالى : ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣] .

من خصائصه :

* وهو بين الغلو والتقصير ، والتشبيه والتعطيل ، والجبر والقدر ، والأمن واليأس ، فهذا ديننا ظاهراً وباطناً .

* والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة .

= قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران : ٦٧] ، وفي قوله تعالى : ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف : ١٢٦] ، وفي قوله تعالى عن حواريي عيسى عليه السلام : ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ٥٢] .

فالدين إذاً واحد لا يتعدد في أصله ولا على لسان الأنبياء ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران : ١٩] ، وإنما يوجد تعدد وتغير في التشريع ، لأن الغاية من التشريع إقامة الأحكام التي تضمن حياة منتظمة للفرد والمجتمع ، كما أن فكرة التشريع قائمة على مصالح العباد في دنياهم وآخرتهم ، وهذه المصالح تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة .

فسيدنا موسى عليه السلام بُعث إلى بني إسرائيل ، والحال يقتضي أن تكون شريعتهم شديدة قائمة على أساس العزائم لا الرخص ، في حين بعد مرور حقبة من الزمن وبعثة سيدنا عيسى عليه السلام ، جاءهم بشريعة فيها من اليسر والسهولة ما لم يكن في شريعة موسى ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم على لسان عيسى عليه السلام مخاطباً بني إسرائيل :

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران : ٥٠] . الفيصل (٢٢٢) .

* فهذا ديننا[1] واعتقادنا ظاهراً وباطناً ، ونحن برآء إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه .

ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان ، ويختم لنا به ، ويعصمنا من الأهواء المختلفة ، والآراء المتفرقة ، والمذاهب الردية مثل المشبهة ، والمعتزلة ، والجهمية ، والجبرية ، والقدرية ، وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة ، وحالفوا الضلالة ، ونحن منهم برآء ، وهم عندنا ضُلَّالٌ وأردياء ، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

اللهم يا ولي الإسلام وأهله ، ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به .

* * *

---

(١) قال تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

إسلامنا لا غلو فيه ، ولا تقصير ، إسلامنا لا تشبيه فيه ولا تعطيل ، إسلامنا لا جبرٌ فيه ولا قدرٌ ، إسلامنا لا أمن فيه ولا إياس .

إنه بين بين ـ وسطية ارتضاها لنا المولى ـ

فلا غلو فيه إلى حد الرهبانية ، ولا تفلت فيه إلى الانحطاطية .

ولا تشبيه فيه ـ الخالق ليس كمثله شيء ـ ولا تعطيل فلا ننفي عن الرب صفاته .

ولا الإنسان مجبرٌ ، ولا يسير في تيار القدر ، إنما العبد غير مجبور وأفعاله هي كسبه .

ولا أمن ولا إياس ، بل الخوف والرجاء بمنزلة الجناحين للعبد في سيره إلى الله تعالى والدار الآخرة .



الفهارس

فهرس الآيات

الآيات مرتبة حسب ترتيب السور

١ ـ سورة البقرة ـ

٢ ـ آل عمران ـ

٣ ـ النساء ـ

٤ ـ المائدة ـ

٥ ـ الأنعام ـ

٦ ـ الأعراف ـ

٧ ـ التوبة ـ

٨ ـ يونس ـ

٩ ـ الرعد ـ

١٠ ـ الحجر ـ

١١ ـ النّحل ـ

١٢ ـ الكهف ـ

١٣ ـ مريم ـ

١٤ ـ طه ـ

١٥ ـ الأنبياء ـ

١٦ ـ الشعراء ـ

١٧ ـ الروم ـ

١٨ ـ السجدة ـ

١٩ ـ المؤمنون ـ

٢٠ ـ الأحزاب ـ

٢١ ـ سبأ ـ

٢٢ ـ فاطر ـ

٢٣ ـ الزمر ـ

٢٤ ـ غافر ـ

٢٥ ـ الفرقان ـ

٢٦ ـ فصلت ـ

ـ النّجم ـ

ـ الرّحمن ـ

ـ الحديد ـ

ـ الحشر ـ

ـ التّحريم ـ

ـ القمر ـ

ـ الحاقّة ـ

ـ الجنّ ـ

ـ المدّثّر ـ

ـ القيامة ـ

ـ المطفّفين ـ

ـ الانشقاق ـ

فهرس الأحاديث

* * *

فهرس الأعلام

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ن

هـ

ي

فهرس الأشعار

* * *

فهرس الأماكن والبلدان والفرق والقبائل

فهرس الكتب

المراجع

القرآن الكريم وعلومه:

١ـ مختصر ابن كثير للشيخ محمد علي الصابوني ط: ١٩٨٩ دار النمير ودار القلم دمشق وحلب.

٢ـ مناهل العرفان للزرقاني ط: ١٩٩٥، ت فؤاد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

كتب السنة المطهرة:

٣ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر ـ رحمه الله ـ ت: ابن باز والباقي والخطيب، دار المعرفة لبنان.

٤ـ شرح صحيح مسلم للإمام النواوي ـ رحمه الله ـ ط: مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ومكتبة الغزالي، دمشق، وقد استفدت من نسخة دار المعرفة (البيروتية).

٥ـ سنن أبي داود، ت: كمال يوسف الحوت، ط (١) ١٩٨٨، دار الجنان ـ بيروت.

٦ـ سنن الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٧ـ سنن النسائي.

٨ـ سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية ـ بيروت.

٩ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ت: الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط (٢) ١٩٩٣، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

١٠ـ مسند الإمام أحمد، ط (٢) ١٩٩٣، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١١ـ الطبراني ـ الأوسط ـ مكتبة المعارف، تحقيق د. محمود الطحان، السعودية.

١٢ـ تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، للإمام المباركفوري ـ رحمه الله ـ، ط (١) ١٩٩٠، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

كتب العقيدة: «شروح الطحاوية»

١٣ـ شرح العقيدة الطحاوية، للإمام ابن أبي العز الحنفي، ت: الشيخ ناصر الدين الألباني، ط (٩) ١٩٨٨، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

١٤ـ شرح العقيدة الطحاوية، الإمام عبد الغني الغنيمي الحنفي، ت: الأستاذ محمد مطيع الحافظ ومحمد رياض المالح، ط (٢) ١٩٨٢، دار الفكر ـ دمشق.

١٥ـ البيان اعتقاد أهل السنة والجماعة، القاضي إسماعيل بن إبراهيم الشيباني، ت: عبد العزيز عز الدين السيروان، ط (١) ١٩٩٢، دار الرشيد ـ دمشق.

١٦ـ في ظلال الإيمان، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط (٣) ١٩٩٤، دار القلم ـ دمشق.

١٧ـ وجود الله (تعالى)، د. يوسف القرضاوي، ط (٣) ١٩٩٠، مكتبة وهبة ـ مصر.

١٨ـ صون الإيمان عن عثرات اللسان، للأستاذ محمد أديب كلكل، ط (٣) ١٩٩٣، المطبعة العلمية ـ دمشق.

١٩ـ مبادىء العقيدة الإسلامية، د. مصطفى سعيد الخن، ط (٧) ١٩٩٢ـ١٩٩٣، منشورات جامعة دمشق.

٢٠ـ المقالات، الإمام محمد زاهد الكوثري، نسخة مصورة عن مطبعة الأنوار في القاهرة بلا تاريخ.

٢١ـ كبرى اليقينيات الكونية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ط (٨) ١٩٩٣، دار الفكر ـ دمشق.

٢٢ـ شرح النسفية في العقيدة الإسلامية، د. عبد الملك السعدي، ط (١) ١٩٨٨، دار الأنبار ـ بغداد.

٢٣ـ شرح العقائد النسفية، للشيخ التفتازاني بدون تاريخ، ت: محمد عدنان درويش.

٢٤ـ الإبانة، للإمام الأشعري، تحقيق فوقية حسن.

٢٥ـ أصول الدين، الأستاذ عبد القاهر البغدادي، ط (١) ١٩٢٨، مطبعة الدولة ـ إسلامبول.

٢٦ـ عقيدة المسلم، للإمام محمد الغزالي، ط (٨) ١٩٩٦، دار القلم ـ دمشق.

٢٧ـ فطرة الله التي فطر الناس عليها، د. أحمد حسن فرحات، ط ١٩٨٧، دار البشير ـ عمان.

٢٨ـ الإيمان بالله في ضوء العلم والعقل، الأستاذ محمد رشدي عبيد، ١٩٩٢، دار القادري ـ دمشق ـ بيروت.

٢٩ـ إتحاف المريد بجوهرة التوحيد، للعلامة عبد السلام بن إبراهيم اللقاني، ت: المرحوم محيي الدين عبد الحميد، ط (١) ١٩٩٠، دار الفلاح ـ حلب أقيول.

٣٠ـ شرح جوهرة التوحيد، للإمام الباجوري، تنسيق وتخريج الأحاديث للأساتذة الكيلاني وتتان نسخة مصورة بدون تاريخ ومكان.

٣١ـ منظومة كفاية الغلام بشرح رشحات الأقلام، العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي، ت: محمد خالد الخرسة بدون تاريخ ومكان.

٣٢ـ شرح ضوء المعالي على منظومة بدء الأمالي، للشيخ نور الدين علي القالي، بإشراف العلامة المرحوم محمد صالح الفرفور، مكتبة المعارف.

٣٣ـ الاقتصاد في الاعتقاد، الحافظ تقي الدين المقدسي، ت: د. أحمد الغامدي، ط (١) ١٩٩٣، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ السعودية.

كتب التربية والسلوك:

٣٤ـ إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي، ط (٢) ١٩٨٩، دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان.

٣٥ـ البرهان المؤيد، للإمام السيد أحمد الرفاعي، ط: دار النفائس ـ حلب.

٣٦ـ الحياة الربانية والعلم، الدكتور يوسف القرضاوي، ط (١) ١٩٩٥، مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ مصر.

كتب التراجم:

٣٧ـ سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، ط (١) ١٩٩٤، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان.

٣٨ـ البداية والنهاية، الإمام ابن كثير، ط (١) ١٩٨٨، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٣٩ـ أبو جعفر الطحاوي (الإمام المحدث الفقيه)، د. عبد الله نذير أحمد، ط (١) ١٩٩١، دار القلم ـ دمشق.

٤٠ـ الحاوي في ترجمة الطحاوي، الشيخ محمد زاهد الكوثري، ط: ١٩٩٥، مكتبة الأزهرية للتراث ـ القاهرة ـ مصر.

كتب متنوعة:

٤١ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين، الإمام ابن القيم، ت: عصام الدين الصبابطي، ط (١) ١٩٩٣، دار الحديث ـ القاهرة ـ مصر.

٤٢ـ جامع العلوم والحكم، الإمام ابن رجب الحنبلي، ت: شعيب الأرناؤوط وباجس، ط (٤) ١٩٩٣، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان.

٤٣ـ مبيد النقم ومعيد النعم، الإمام السبكي، ت: محمد علي النجار وآخرين، ط (١) ١٣٦٧ هـ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ مصر.

٤٤ـ القوانين الفقهية، الإمام ابن جُزي ـ رحمه الله ـ ط: ١٩٨٧ دار الكتب ـ الجزائر.

٤٥ـ السيرة النبوية، الإمام النووي ـ رحمه الله ـ، ت: عبد الرؤوف علي وبسام الجابي، ط (١) ١٩٨٠، دار البصائر ـ دمشق ـ سوريا.

٤٦ـ علامات القيامة، الإمام النبهاني، بعناية بسام الجابي، ط (١) ١٩٨٧، دار الجفان والجابي للطباعة والنشر.

٤٧ـ النهاية في الفتن والملاحم الإمام ابن كثير.

٤٨ـ فيض القدير، الإمام المناوي، دار المعرفة ـ بيروت.

٤٩ـ ظاهرة الغلو في التكفير، د. يوسف القرضاوي، دار القلم ـ الكويت.

٥٠ـ هذا ديننا، المرحوم محمد الغزالي، ط (١) ١٩٩٧ م دار القلم ـ دمشق.

٥١ـ من الفكر والقلب، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ط (٢) ١٩٧٢، الفارابي ـ دمشق.

٥٢ـ الغناء والموسيقى، أ. عمرو عبد الكريم، ط (١) ١٩٩٥، دار القلم ـ الكويت.

اللغة العربية :

٥٣ـ المعجم الوسيط ، ط (٢) ١٩٧٢ ، نشر ناصر خسرو ، طهران ـ إيران .

٥٤ـ مختارات من شعر المرحوم الشيخ محمد صالح الفرفور .

المجلات :

٥٥ـ الفيصل السعودية العدد (٢٢٢) .

* * *

الفهرس

القسم الثالث :

القسم الرابع :

* * *



هذه عقيدتنا

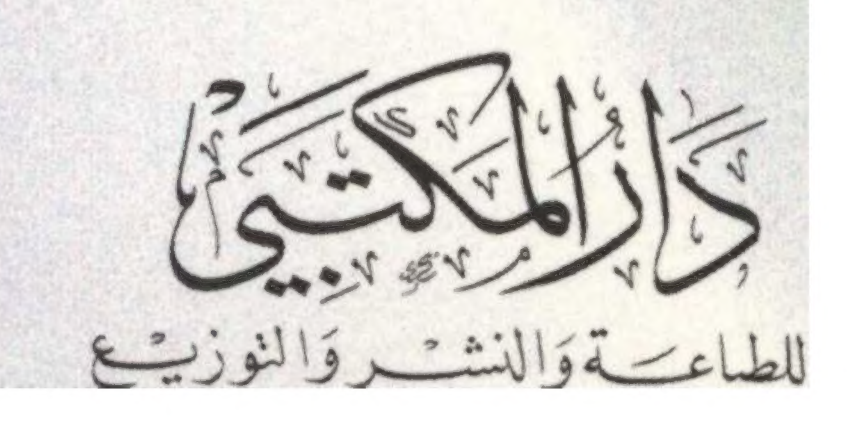
« إننا نحمل عقيدة من أرقى العقائد التي تساهم في بناء الحضارات ، فهي عقيدة توحيد من أصفى أنواع التوحيد وأكثره إشراقاً وسمواً وكمالاً .

وهي عقيدة علم تحترم العقل وتدفعه دفعاً حثيثاً وراء المجهول ليصبح معلوماً .

وهي عقيدة خلق إنساني معتدل كريم يتجافى عن الافراط في الرحمة والتفريط في العدالة ، وعن الافراط في الحب ، والتفريط في الواجب .

وهي عقيدة تشريع يهدف إلى اليسر ، ويتوخى المصلحة : مصلحة الفرد ، ضمن مصلحة المجموع ، ومصلحة المجموع غير مفرط بمصلحة الفرد .

مصلحة الأمة ضمن الاطار الانساني العام ، ومصلحة الانسانية كلها من غير محو لفضائل الشعوب وخصائص الأمم وقضاء على كرامتها » .



سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا

ص.ب ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس ٢٢٤٨٤٣٢